٢٠٠١ ١٢٨
١٥
١٩

السلوك اللغوي واختلاف الجنسين في العربية

إعـــــداد

عيسى عودة موسى برهوم

إشــــراف

الأستاذ الدكتور نهاد الموسى

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراة في

اللغة العربية

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون الأول ٢٠٠١

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ... التاريخ ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة ، و أجيزت بتاريخ ١٢/١٢/٢٠٠٢.....

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم	التوقيع
_ الأستاذ الدكتور نهاد الموسى ، مشرفا	.....
_ الأستاذ الدكتور شاهر الحسن ، عضوا	.....
_ الدكتور وليد سيف ، عضوا	.....
_ الدكتورة ياسمين حداد ، عضوا	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتـــــوى

الموضـــــوع	الموضع
- إهداء	ا
- شكر وعرفان	ب
ملخص بالعربية	ت
- المقدمة	١
- الباب الأول: **أثر العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي**	
- الفصل الأول: اللغة في المجتمع	٧
- الفصل الثاني: تجلّيات العامل الإجتماعي في السلوك اللغوي	٢٢
- الباب الثاني: **نظارة اللغة إلى الجنس**	
- الفصل الأول: تصنيف الجنس في اللغة	٣٨
- الفصل الثاني: الثقافة، اللغة، التحيُّز	٦٢
- النحو والتحيُّز	٨٣
- الدلالة والتحيُّز	٩٢
- المخيال الشعبي والتحيُّز	٩٦
- الباب الثالث: **الخصائص اللغوية للجنسين**	١٠٢
- الخصائص الصوتية	١٠٩
- الخصائص النحوية والصرفية	١١٤
- الخصائص الدلالية	١١٨
- الخصائص الأسلوبية	١٢١
- السلوك اللغوي غير اللفظي	١٢٨
- الخاتمة	١٣٤
- الملاحق	١٣٦
- ثبت المصادر والمراجع	١٥٦
- ملخّص بالإنجليزية	١٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إهـــــداء

إلى أمي

المرأة المنذورة للمستحيل، أبدية الحضور.

وإلى سهام

سوسنة الروح، وفاتحة الكتابة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وعرفان

الشكر لأستاذي المشرف الدكتور نهاد الموسى لما حباني من رعاية وصبر، فكثيرا ما سدد خطاي، ورأب صدع الشطط، وقوم الزلل حتى استوى البحث على هذا النحو.

وشكري موصول لأساتذتي: الدكتور هاشم ياغي، والدكتور محيي الدين رمضان، والدكتور إسماعيل عمايرة؛ لإشاراتهم السديدة، وأنظارهم اللطيفة في هذه الدراسة منذ كانت خطرة في النفس.

ولأخي موسى منة في عنقي، فكم أعداني بجده الصارم، فكان حافزاً على مغالبة الصعاب.

أما رفيقة دربي سهام فإن اعتزازي بها زميلة، وشريكة صدق في كل إنجاز، هو فوق العبارة، وليس ثمة مقام يكون الصمت فيه أوجد للمراد من النطق كهذا المقام.

والشكر الجزيل للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور شاهر الحسن الرشدان، والدكتور وليد سيف، والدكتورة ياسمين حداد؛ لتفضلهم بمدارسة البحث.

وأتقدم بالشكر لأسرة مركز الرائد للطباعة لما بذلوه من ضبط ورعاية لإخراج البحث بصورة لائقة.

والود والتقدير لكل من أعان وآزر. وهم كثر يعجز عن شكرهم لساني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص بالعربية

السلوك اللغوي واختلاف الجنسين في العربية

إعداد
عيسى عودة موسى برهوم

إشراف
الأستاذ الدكتور نهاد موسى

صدرت هذه الدراسة عن جملة من المعطيات،نحو:الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي،وحقيقة الفروق بين الجنسين،وحقيقة التحيز اللغوي في العربية،ودراسة الخصائص اللغوية للجنسين.

وتطلعت إلى الوقوف إلى العلاقة بين اللغة والمجتمع،وإلى أي مدى يسهم العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي للجنسين. وقد انتظم الدراسة منهج علم اللغة الاجتماعي؛لما يكتنف هذا المنهج من إضاءات للظواهر اللغوية في سياقها الاجتماعي،وتعيّن في هذه الدراسة المراوحة بين المتقادم والحادث؛لأن طبيعة البحث يمتد في رحاب الماضي وآفاق الحاضر.

وانتهت الدراسة إلى زمرةٍ من النتائج،منها:أن الصلة بين اللغة والمجتمع صلة وطيدة،إذ تتجاوز اللغة وظيفة التفكير المجرّد،لتتبئ إلى الظروف التي تم فيها الفعل الكلامي،وطبقة المتحدثين،وجنسهم،....

وترى الدراسة أنّ الاختلاف بين الجنسين مبعثه عوامل اجتماعية وثقافية،وليس عوامل بيولوجية أو فسيولوجية.

وأظهرت الدراسة أنّ العربية في أساسها محايدة،ولكنها مرهونة بموروثات الثقافة وقيم المجتمع،فإن كان ثمة تحيّز فمرده للمجتمع وليس للغة.

وتوصي الدراسة تعديل القيم الثقافية والاجتماعية ؛لتحقيق المساواة بين الجنسين،ليتغير الخطاب اللغوي من الذكورة إلى الحياد،وأن يشارك الجنسان في صياغة المشهد الحياتي جنبا إلى جنب؛مما يفضي إلى التواصل وتكامل الأدوار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــــة:

في البدْء كانت الكلمة، وفي النهاية تكون الكلمة، وفيما بين البدْء والخاتمة، ظل الإنســـان يتوق إلى وسيلة توفّر له التخاطب والتواصل لتحقيق ماهية الاجتماع البشـــري، فكـــانت اللغـــة ضالته، فشُغل بها وأودعها عنايته ووُكْده، وعدّ معرفة كُنْهها جزءاً من سعيه لمعرفة ما التبـــس عليه من أسرار الوجود، فغدتْ موضوعاً أصيلاً من موضوعات الفلسفة الإنسانية.

لم تكن اللغة مُنْذ تَخَلُّقها من صنيع فرد، إنما مواضعة جماعية يتواطأ على تمثلـهاالأفراد، فهي ظاهرة اجتماعية أودعها مراس الكلام في الجمهور، تتبلّر في تلافيف المجتمـــع. وبالتـــالي تغدو المعطيات الاجتماعيةُ الخلفيةَ التي يتعيّن الرجوع إليها لتحديد ما نرومه من الكلام، وتميـــيز الفئات الاجتماعية التي تُوظّف السلوك اللغوي في مناشط الحياة المُتراحبة. إذ إنّ هـــذا الســـلوك مطيّة الأفراد في حياتهم العامة والخاصة، وهو المرآة الكاشفة عن هوية الأفراد وبيئاتهم وفئاتـــهم المختلفة.

والفرد في ممارسة السلوك اللغوي مشروط بالنظام الاجتماعي الذي يُحـــدّد الاختيـــارات اللغوية في عملية التفاعل الاجتماعي، وبالتالي فإنّ تلك الشروط الاجتماعية والثقافية تُحدّد معايير السلوك اللغوي ونماذجه الاجتماعية المقبولة.

الاختيار و المنهج:ترجع صلتي بمسألة اللغة والجنس إلى بضْع ســـنوات خلـــتْ، فقـــد استوقفتني الأسفارُ التي انبرت لبحث التذكير والتأنيث، إذ حظيت هذه المسألة بما لـــم تحـــظ بـــه كثيرٌ من مسائل اللغة تقريراً وتصنيفاً. ولعل هذه الوفْرة في درس المسألة قديما وحديثاً سكب فـــي النفس رغبة للوقوف إلى أمارات المسألة؛ فاخترتُ موضوع "المذكر والمؤنث في اللغة والنحـــو" بحثاً لأطروحة الماجستير.

وكنتُ قد أقمتُ الدراسة على منهج يُراوح بين الوصفي والمقارن، فعرضتُ للمسألة فـــي اللغات السامية؛ لاستقراء أوجه الاتفاق والاختلاف فيها، مُشفّعاً ذلك بالأمثلة.

وأومأتُ إلى موقع المسألة في اللهجات العربية، وما تضمنه النص العزيز قراءة ورسماً، وأردفتُ ذلك بذكر ما استوفاه اللغويون والنحويون فيها، بذكر مُصنّفاتهم المطبوعة والمخطوطة.

وألمحتُ في فصل أخر إلى تقرير أهل اللغة والنحو للظاهرة، فوقفتُ إلى أقسام المذكـــر والمؤنث، وعلامات التأنيث، والتصغير، والصرف، والعدد، وما يـــروى روايـــة مـــن المذكّـــر والمؤنّث...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومضيتُ في استقراء مفردات المسألة عند اللغويين والنحويين؛ لمعرفة حدود المسألة عندهم، وتناولتُ بعد ذلك مناهجهم في دراسة المسألة، من حيث القياس، والسماع، وأسلوب التأليف، وعللهم وشواهدهم.

وألمعتُ في محور آخر إلى ما هو أصل في المسألة، باستقصاء ما جاء في مُصنَّفات اللغويين والنحويين، وانتهيتُ إلى زُمْرَةٍ من التوصيات، منها: أنَّ الدراسة الإحصائية والاجتماعية تُسهم في استجلاء بعض ما رانَ عليها من خفاء.

كانت دراستي " لمسألة المذكر والمؤنث في اللغة والنحو "، دراسةً تأصيلية مقارنة، توسَّلتْ التراث اللغوي والنحوي لتوصيفها، وأفضتْ بي إلى تشكيل بِنْيَة تراثية لحدود المسألة، والتطلُّع إلى مقاربتها من وجهة اجتماعية ثقافية؛ لظنِّي أنَّ تنوُّع الأنظار في مسألة ما يُفضي إلى اتساع الرؤى واستجلائها.

ظلّت مسألة اللغة والجنس تأخذ بنياط فكري، فرغبتُ في أن أواصل بحث المسألة من وجهة اجتماعية، ولا سيَّما بعد أن اطلعتُ على مصنفات في علم اللغة الاجتماعي، فاستقرَّ في النفس هاجس أن أُفرد "اللغة والجنس في السياق الاجتماعي" بحثاً لأطروحة الدكتوراه، ومما قوَّى العزم فيَّ أنَّ مسألة اللغة والجنس تَستَعِلن في فضاء التثاقف والبحث في الفكر النقدي المعاصر، بعد نهوض الحركات النسوية في العالم الحديث، فراحت هذه الحركات ومناصروها من منظمات حقوق الإنسان تدعو إلى ترسيم علاقات عادلة بين الأعراق والفئات المستثناة من القوة Powerless كالعبيد، والنساء، والأطفال. واستشعرتِ الحركات النِّسويَّة ومنظمات حقوق الإنسان أنَّ ثمة تحققات لغوية تنطوي على قَدْر من التحيّز للذكور، واختزال للحضور الأنثوي، فانبرتْ لتسليط الضوء على أشكال التحيّز، وسبل تعديله. وتطلَّعتْ إلى لغة مُحايدة تُمثِّل الجنسين بنَصَفَة.

إنَّ هذا الفيض من العناية بموضوع اللغة والجنس من أنظار معرفية متنوِّعة، دفعتْ بي إلى استقراء المسألة في العربية، لأنَّ جُلَّ ما كتب في السلوك اللغوي واختلاف الجنسين كان بلغات أجنبية، أو طُبِّق على لغات أجنبية، ولم تحظَ العربية بدراسة مستقلة للمسألة من وجهة اجتماعية فيما انتهيتُ إليه من بحث واستطلاع.

صدرتُ في دراستي "للسلوك اللغوي واختلاف الجنسين في العربية" عن حُزْمَة من المعطيات، نحو: الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي، وحقيقة الفروق بين الجنسين، والتحقُّق من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التحيّز اللغوي في العربية، ودراسة الخصائص اللغوية بين الجنسين، والعوامل التي تُسهم في تشكلّها.

ورمتْ من هذه الدراسة استشفاف العلاقة بين اللغة والمجتمع، واختبار المقولات التي تعاورتْ موضوع اللغة والجنس، وتوظيف معطياتها في دراسة العربية.

آنستْ في هذا البحث منهج علم اللغة الاجتماعي؛ لاستجلاء السياق الاجتماعي الذي تحدث فيه النشاطات التفاعلية للغة، وتلَمُّس العلاقة المستكنّة في اللغة والتنظيم الاجتماعي.

وقد أمْحضتْ وُسْعي لأُقيم البحث على طريقة مستقيمة، فأفدتْ من معطيات هذا العلم الحديث بلُطْف العناية، وسخّرتُ كثيراً من هذه الأنظار لاكتناه مشكلة البحث مقاربة وتقريرا.

ولقد حرصتْ على أن أُلْمع إلى البحوث والدراسات التي أُجريتْ على اللغات الأخرى؛ لظني أنّ هذه الإشراقات تُفْضي إلى تراخب الرُؤى، علاوة على أنها تُغني الدرس اللغوي في العربية؛ لنُزْرة التصانيف التي تواردت على بحث هذا المُشْكل.

الدراسات السابقة:

ذكرتْ فيما سبق أنّ أكثر ما صُنّف في السلوك اللغوي واختلاف الجنسين كان بلغات أجنبية، فقد حفلتْ هذه اللغات بدراسات وبحوث عاينتِ المسألة، ولم تقتصر العناية على فن بعينه، بل نهضتْ علوم عديدة لمقاربة هذه المسألة، كاللسانيات، وعلم الاجتماع، والنقد الأدبي، والأسلوبية، والإناسة، وغيرها من ضُرُوب المعرفة.

لكنّ الجهود العربية في هذا الحقل ما زالت نَزِرة تحاول الإفادة من المعطيات الغربية تثاقفاً ودرْساً. وسألمع إلى جملة من البحوث والدراسات التي كُتبتْ بالعربية، وقد عرضتُ لعدد من الدراسات الغربية في تضاعيف البحث.

- **أحمد مختار عمر، <u>اللغة واختلاف الجنسين</u>، ١٩٩٦م.**

أقام المؤلّف كتابه على نَسق المصنّفات الغربية، فوقفَ إلى البدايات التي أسهمت في نهوض دراسات المرأة واللغة، وعرض للمفردات التي تشيع في علم اللغة الاجتماعي، وخاصة التي تُعنى بالسلوك اللغوي للجنسين، وألمح إلى التحيّز والحياد، وتناول الخصائص اللغوية للجنسين، وأوما إلى اختلاف لغة الطفل باختلاف جنسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اتكأ المؤلّف في مباحثه على ما خلُصتْ إليه الدراسات الغربية، ولم يُردف ذلك بالتحليل والاستقصاء، مما أفضى إلى تراكم المعطيات واحتشادها دون مزيد اعتناء لمراميها، ينضاف إلى ذلك أنّ المؤلف قصر جهْده على ما استوفاه الغربيون من بحوث ودراسات على لغاتهم، ولم يختبر هذه الأنظار في العربية إلا لماماً.

ويلْحظ الناظر في عرض مباحث الكتاب عجلة ظاهرة، وإغفالا للعوامل الخارجية التي تُسْهم في تخلُق الظواهر اللغوية.

على الرغم مما اكتنف كتاب أحمد مختار عمر من هفوات، إلا أنّ هذا المصنّف يُعدُّ رائداً فيما كُتب بالعربية، وقد أفدتُ من مفرداته حين شَرعتُ في تشكيل معمار دراستي، ووقفني إلى جملة من المصادر والمراجع التي ترتبط بموضوع اللغة واختلاف الجنسين.

- زليخة أبو ريشة، <u>اللغة الغائبة، نحو لغة غير جنسوية</u>، ١٩٩٦م.

ترنو المؤلّفة في كتابها إلى تنقية اللغة من المظاهر الجنسوية، إذ إنّ اللغة -وفق رأي الكاتبة- انحازت للذكورة، وهمّشت الأنوثة في خطابها، وتجلّى ذلك في تحققات متنوّعة أبرزها: أدب الأطفال، والمصنّفات التربوية..

تجمهرتْ مقولات الكتاب حول تعديل اللغة العربية من مظاهرها الجنسوية، والتطلّع نحو لغة عادلة تحتفي بالجنسين حضوراً وكياناً.

عرضتْ الكاتبة نماذج من أدب الأطفال تنطوي على مظاهر جنسوية، وقدّمتْ البدائل المُقترحة لتعديل هذه الرؤى التي أطبقت عليها قيم المجتمع.

ويشبه أن يكون الكتاب دليلاً للعاملات والعاملين في الحقل التربوي، في مسعى لتقديم نموذج عملي؛ لتخليص اللغة من التحيّز الذكوري - كما ترى الكاتبة-.

- عبد الله الغذّامي، <u>المرأة واللغة</u>، ١٩٩٦م.

صدر المؤلّف في كتابه عن جملة من المقولات المتداولة في النقد الثقافي، نحو: الذاتْ والآخر والسُلْطة واللغة، والقوة والخطاب...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يأتي هذا الكتاب ضمن مشروع* شُغِل به المؤلف، همُّه الحفر في الأنساق الثقافية متوسّلاً منطلقات النقد الثقافي، وطامحاً إلى تطوير فاعلية النقد من كونه أدبياً جمالياً إلى كونه نسقاً ثقافياً، وهو خطوة فارقة في النقد، إذ يتجاوز نقد النصوص إلى نقد الأنساق، وقراءة النص الأدبي لا بوصفه حدثاً أدبياً وحسب، بل حَدَثاً ثقافياً كذلك.

لم يرم المؤلّف من كتابه أن يكون بحثاً في أدب المرأة، وليس دراسة فنية جمالية، ولكنّه بحث وسؤال عن المقولات الجوهرية في علاقة المرأة مع اللغة، وتحوّلها من (موضوع) لغوي إلى (ذات) فاعلة، تعرف كيف تُفْصِح عن نفسها، وكيف تُدِير سياق اللغة من (فحولة) متحكّمة إلى خطاب بياني يجد فيه الضمير المؤنث فضاء للتحرُّك، والتساوق مع التعبير ووجوه الإفصاح.

يُستَشْعَر مما تمّ عرضه من دراسات في مسألة "اللغة والجنس"، أنّ هذا المُشْكِل يعتوره أضرب من العلوم والفنون، كلٌّ يأخذ منه بطرف في تناوله ومداولته. وقد ارتأيتُ أن أنتحي وُجْهة تتقاطع مع هذه الدراسات في بعض مسالكها، وتنهج شِرْعَة مباينة في دروب أخرى.

ولأنّ المسألة التي أحاورها قضية جوهرية تمتدُّ في الزمان والمكان؛ تعيّن هذا العرض الذي يتجاوز الفواصل الزمانية والمكانية، لأنّ المسالة التي نَعرِضُ لها ضاربة في أطناب الماضي، وممتدة في آفاق الحاضر؛ ولعل ذلك أفضى بي إلى المراوحة بين المتقادم والحادث عرضاً، وتحليلاً، ومقاربة. فَحَرَصْتُ في هذه الدراسة على تنوّع المصادر والمراجع التي تمدُّ خيوطها إلى زُمْرَة من المعارف، وتستدعي أنظار القدماء والمحدثين في بحث المسألة .

توزّعَ البحث على ثلاثة أبواب:

- حاولتُ في **الباب الأول** أن أستجلي مكانة اللغة في المجتمع، وأن أتلمس مُسوّغاً منهجياً للعلاقة المتحصّلَة بين العامل الاجتماعي والسلوك اللغوي.

وفرغتُ في ذلك إلى دراسة البنى الاجتماعية وأهميتها في تشكيل ذواتنا، وعرضتُ لأنظار المشتغلين في توصيف اللغة والمجتمع.

---

* أصدر المؤلف بعد ذلك كتابين ينتظمان في سياق مشروعه، وهما: ثقافة الوهم ١٩٩٨م، وتأنيث القصيدة والقارئ المختلف، ١٩٩٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- وفي الفصل الثاني من هذا الباب ألمحتُ إلى التجلّيات الاجتماعية في السلوك اللغـوي للجنسين؛ لاستبار التفاعل اللغوي مع العوامل الخارجية الراشِحَة في الاستعمال.

- في الباب الثاني عرضتُ لنظرة اللغة إلى الجنس، فعاينتُ المسألة في النظـام اللغـوي، لاستجلاء تصنيف الجنس في العربية، وهل كان هذا التصنيف مُتَّسِقاً والجنس الطبيعي؟ وتتبعـتُ موقف الباحثين في هذه المسألة التي أَشْكَلَت عليهم قديماً وحديثاً.

ولم يكن بُدٌّ من أن أتوقف عند مسألة الثقافة واللغة والتحيُّز؛ إذ إنَّ الثقافة تُعَـدُّ المـرآة الصادقة التي تعكس صورة واضحة لما عليه أفراد المجتمع من قِيَم، ونُظُم، وعـادات، وتقاليـد، واتجاهات.

ويؤثِّر التطور الثقافي والحضاري لأي أمة تأثيراً بالغاً في مدلولات الألفـاظ، إذ تَنْتَحـي بها وُجْهَة معينة قد تبتعد قليلاً أو كثيراً عن طفولتها الأولى.

وتوجَّهتُ لاستشفاف الصلة الناظمة بين الثقافة واللغة. وارتباط ذلـك بـالتحيُّز عَبْـرَ تحقُّقات اللغة، كالنحو، والدلالة، والمتعيِّن الشفاهي.

- ثم تناولتُ في الباب الثالث الخصائص اللغوية للجنسين، فعرضـتُ لمسـتويات اللغـة؛ لاستقراء الخصائص اللغوية، وقد صَدَرْتُ في استصفاء هذه الخصائص عن الفرضـيات التـي أودعها الدارسون والدارسات في موضوع البحث.

واهتديتُ في تحصيل هذه المعطيات بطرائق البحث في العلوم الاجتماعيـة، كالمقابلـة الشخصية، والملاحظة الموجَّهة وغير الموجَّهة، وإجراء الإحصاءات المتنوِّعة التي تفضي إلـى بيانات عن السلوك اللغوي للجنسين.

وأخلصتُ هذا الباب النتائج المتحصِّلة من البحث.

وأقفلتُ البحث بزُمْرَة من الأنظار مستصفاة.

وشفَّعتُ البحث بلَحق انطوى على استقراء الصفات المحمودة والمذمومـة للجنسين، في إضمامةٍ من مُعْجَمات المعاني.

وآمل من بعد ذلك أنْ يكون البحث مساهمة في الدرس اللغـوي الاجتمـاعي، ودافعـاً لدراسات تتوسَّل اللغة لاكتناه السياق الاجتماعي والثقافي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الأول: أثر العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي

- الفصل الأول: اللغة في المجتمع.
- الفصل الثاني: تجليات العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي للجنسين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغة في المجتمع:

الإنسان مدني بالطبع، يرتبط بالجماعة ليقيم أود حياته، ويمنح عيشه السيرورة والبقاء، لذا تطلّع إلى إقامة العلاقات مع الآخرين، وتفاعل مع محيطه لتحقيق غاية الاجتماع البشري، فليس بمكنة الفرد وحده أن يحقق مفهوم المجتمع بالمتعيّن التواصلي والتعاوني.

فما برح الأفراد يفكرون في وسيلة لتحقيق التواصل بينهم، وبذلوا الوكد لاجتراح أسلوب يتخاطبون عبره، فكانت اللغة ضالتهم في هذا البحث الشاق.

لذا علل (مسكويه) اللجوء إلى اللغة بالسعي لتحقيق الاجتماع الإنساني؛ لأنّ الفرد وحده عاجز عن توفير حاجاته:

"إنّ السبب الذي احتيج من أجله إلى الكلام أنّ الإنسان الواحد لما كان غير مكتف بنفسه في حياته، ولا بالغ حاجاته في تتمة بقاء مدته المعلومة وزمانه المقدّر المقسوم، احتاج إلى استدعاء ضروراته في مادة بقائه من غيره، ووجب شريطة العدل أن يعطي غيره عوض ما استدعاه منه بالمعاونة ..."[1].

فللغة أثرها في مناشط الحياة المتنوعة، وهي وليدة حاجات الفرد والجماعة، ولعل هذا ما دعا أصحاب نظرية (Yo-He-Ho) إلى تفسير نشأه اللغة بأنها: "أصوات جماعية صدرت عن مجموعة من الناس في أثناء قيامهم بعمل شاق يحتاج إلى تعاون على أدائه، وأكدوا أنّ اللغة نشأت حين اجتمع الإنسان مع غيره، ولم تنشأ وهو منعزل عن غيره من البشر"[2].

ومن المتعارف عليه بين دارسي العلوم الاجتماعية أنّ كثيراً من الأحداث الاجتماعية تبدأ فردية ثم لا تلبث أن تشيع بين عدد من الأفراد، ثم يتسع نطاقها فتتخذ صفة الجماعية.

---

(١) مسكويه: الهوامل والشوامل، ص٦.

(٢) ابراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فنحن لا نبتكر شيئاً – كما ذكر (بيار أشار) – "حين نعترف بأنَّ النشاط الإنساني يتجلى في الإطار الاجتماعي"(١).

لم تنشأ اللغة بتخطيط مُفْرَد، وإنما بمواضعة اجتماعية تُعمَّم على الأفراد، فلا فَكَاك من إقصاء العامل الاجتماعي في إنتاج اللغة وفهم ماهيتها، فهي ربيبة المجتمع، وبين ظهرانيه تخلّقت كما قرّر (فندريس):

"في أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت يوم أحسَّ الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم. وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص الذين يملكون أعضاء الحواس، ويستعملون في علاقاتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفهم.

فاللغة بمعناها الأوفى تنتج من الاحتكاك الاجتماعي، ولهذا صارت من أقوى العُرَى التي تربط الجماعات، وقد دانت بنشوئها إلى وجود احتشاد اجتماعي"(٢).

وعلى الرغم من أنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية، إلا أنَّ بعض اللغويين أنكر هذا الارتباط بين اللغة والمجتمع، لذا ينبغي أن تُدْرَس اللغة في واقعها الذهني، ومن هؤلاء اللغويين هيرمان بول (Hermann Paul) الذي يرى "أنَّ اللغة الجماعية ليست إلا خليطاً من الكلام الفردي الذي لا يؤخذ به. واللسان هو مسار خاص يتطور عند كل فرد، وبالتالي ليست هناك فائدة من دراسة التغير اللغوي اجتماعياً، لأن هذا التغير يتطور بشكل مستقل ومختلف باختلاف الأفراد. ويخلص من ذلك أنَّ الفرد يمكن أن يمثل الجماعة ... "(٣).

وينضم إلى مذهب (لا اجتماعية اللغة) نفر من اللغويين، نحو: سويت (Sweet) ومدرسة براغ، وتروبتسكوي (Troubetzkoy)، ومارتينيه (Marttinet)، وعالم اللغة

---

(١) بيار أشار: سوسيولوجيا اللغة، ص١٣.

(٢) فندريس: اللغة، ص٣٥.

(٣) طلال طعمة: علم اللغة الاجتماعي أم الألسنية؟مجلة الفكر العربي المعاصر، ع (٧، ٨) ص١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمريكي بلومفيلد (Bloomfield) الذي أقام نظريته في اللغة على المثير والاستجابة الكـامنين في الفرد وليس في الجماعة اللغوية.

كما أنّ تشومسكي (Chomsky) أهمل العامل الاجتماعي في نظريته اللغوية (التفريعيـة – التحويلية) وافترض وجود سامع مثالي غير متأثر بالتنوعات الكلامية في المجتمع.

ولكن هذه الأنظار اللغوية لم تلقَ ارتياحاً لدى اللغويين الذين يؤكدون اجتماعيـة اللغـة، ويرون أنّ تنحية الأثر الاجتماعي في دراسة اللغة يُعدُّ انحرافاً عن الدراسة العلمية للغة.

انتقد ميبه (Meillet) مفاهيم دي سوسير اللغوية، "ونعتها بأنها ناقصة ومجتزأة؛ لأنـها لا ترى في اللغة إلا واقعاً ذهنياً غير متأثر بالعناصر الاجتماعيـة التـي لا يمكـن دراسـة أي لغـة بمعزل عنها ... "[1].

واعترض هدسون (Hudson) على المدرسة التفريعية – التحويلية؛ لرؤيتها المجـردة للغة، ورأى أنّ "أي محاولة لتفسير الظواهر اللغوية المختلفة دون الرجوع إلى المجتمع – وذلـك ما قامت به المدرسة التفريعية التحويلية بفروعها كافة- إنما هي محاولة عبثيـة تنطـوي علـى مثالية متطرفة، ولن تؤدي هذه المحاولة إلا إلى إجداب الدارسات اللغوية، فاللغة سلوك اجتمـاعي يحدده المجتمع في المقام الأول"[2].

وتوجّه عالم اجتماع اللغة هايمز (Hymes) بالنقدإلى البحث اللغوي الحديث؛ لإهمالـه المعطيات الاجتماعية في اللغة، "ورمى علم اللغة بالتقصير لتركيزه على الشكل اللغوي مجـرّداً، أو منفصلاً عن العناصر المؤثرة فيه، مع أنّ صلة اللغة بالمجتمع وثيقـة، وتأثرهـا بمعطياتـه ومكوناته أمور لا جدال فيها"[3].

---

(1) See. The Main Trends in Modern Linguistes English, by Mirice Leroy. (Translation. by G. pride). p p 93-99.

(٢) هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عيّاد. ص٧.

(٣) مصطفى لطفي: اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ص٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أنصار المدرسة الاجتماعية جاردنر (Gardener) الذي أكّد العنصر الاجتماعي في اللغة "فمن العبث أن نقول: إنّ هدف اللغة هو التعبير عن الفكر، إذ ما الداعي الذي يوجب على الناس التحول هنا وهناك معبّرين عن أفكارهم؟ إنّ مجرد التفكير يكفي لقضاء حاجات الناس العقلية الصرفة.

وإذا كان الغرض من استعمال اللغة إرضاء رغبات من النوع الذي يمكنهم الحصول عليه دون مساعدة خارجية، فإنه في مقدرتهم استعمال جوارحهم وقواهم الجسمية، وإذا كانت عواطفهم تستدعي التنفيس الصوتي فيمكنهم الصياح، أو الضحك، أو التأوه.

ولكن اللغة بتعاملها المتعمّد والمقصود مع الأشياء لا تُفسّر بكل تأكيد على أنها تعبير عن الذات، بل يمكن تفسيرها وتوضيحها بطريق الحقيقة الثابتة التي تفيد أنّ النوع الإنساني مولع بالاجتماع والمصاحبة ويعتمد في حياته على التعاون"[1].

إنّ اللغة تتجاوز وظيفة التفكير المجرّد، والتعبير عما يعتمل في أقطار النفس من خطرات البال، لتشمل أيضاً استجابة المتلقين للغة، والظروف الزمانية والمكانية للحدث الكلامي.

إنها تمنح شعوراً بالانتماء إلى مجتمع المتحدّثين بها، وتُعين الفرد على التوافق الاجتماعي والتكيف النفسي مع الجماعة والمجتمع، وهي جسرنا لإقامة العلاقات الاجتماعية وتطويرها. وقد أطلق الأنثروبولوجي (مالينوفسكي) على هذه الوظيفة "التواصل الودي بين الناس" Phatic Communion"[2].

---

(١) كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، ص٣١.

(٢) ينظر، عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، ص٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كانت الظاهرة الاجتماعية تُقرّر أنّ خروج أي فرد على أي نظـــام فيـــها يُعرّضُـــه للجزاءات الاجتماعية، أو العقوبات المادية والأدبية للحيلولة بينه وبين ما يهدف إليه في التمـــرد عليه، فإنّ اللغة هي أبرز هذه الظواهر الاجتماعية التي تنعكس عليها ردود الفعل الاجتماعيـــة، فإذا حاول فرد التحليق خارج المنظومة اللغوية للجماعة، فهو مُعرّض للانتقاد والسخرية.

"فأصل اللغة عامة يعود إلى الطبيعة الاجتماعيـــة للإنســـان، وترتبـــط وظيفـــة اللغـــة والتغيرات التي تطرأ عليها ارتباطاً وثيقاً بالبنى الاجتماعية من جهة، وديناميكية العلاقـــات بيـــن الأفراد والجماعات والمؤسسات والمجتمع من جهة أخرى ... "[1].

يمتد النسيج اللغوي في الثـــقافة ومناشط الحياة للجماعات، فمن الصعب استجلاء ماهيـــة السلوك إلا بالعوْد إلى المحيط الأوسع للظروف التي يتم فيها الفعل الكلامي.

وكلما توغل الفرد في محيطه الاجتماعي شغلت اللغة مكانـــة مـــتزايدة، لا فـــي حياتـــه الاجتماعية وحسب، بل في سلوكه وتفكيره وأحاسيسه أيضاً.

لذا يجب أن تُدرس اللغة ونواميسها في إطار العلاقة الوثيقة القائمة بينها وبين تاريخ المجتمـــع؛ لأن اللغة – أي لغة – تُعدُّ اليوم حصيلة اجتماعية ونتاجاً للتاريخ الاجتماعي.

---

(١) توماس لوكمان: علم اجتماع اللغة، ت. أبو بكر أحمد باقدر، ص١١.
وينظر أيضا، جوليت غارمادي: اللسانة الاجتماعية، تعريب خليل أحمد خليل، ص٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى (ستالين) أنّ اللغة: "إحدى الوقائع الاجتماعية الفاعلة والمؤثّرة في سياق الوجود الاجتماعي وديمومته كلها، فهي تبقى ببقائه وتزول بزواله، وليس ثمة إمكان لوجود أي لغة خارج نطاق المجتمع، فلا نستطيع فهم اللغة وقوانين تطورها إلا إذا توجّهنا لدراستها من حيث صلتها الوثيقة بتاريخ المجتمع أي بتاريخ الشعب الذي تنتسب إليه اللغة؛ موضوع الدراسة الذي أبدعها، وتحيا على لسان أبنائه ... "(١).

يتضمن المعنى الاجتماعي الثقافي Social – Cultural Meaning، أو ما يسمى بالمعنى السياقي Contextual Meaning محتويات المعنى للكلام أو التعبير، ويقصد به مغزى الكلمات ضمن الجملة في موقف معين، أو في محيط اجتماعي معين.

إنّ هذا المعنى يُقتَبس من الكلام المستَعمَل في الحياة اليومية الذي يُفسّر في مجتمع إنساني معين، كما أنّ هذا المعنى هو أكثر عرضة للتغيير والتبديل عبْر التاريخ من أي معنى أخر في اللغة.

" لعل المعنى الاجتماعي – الثقافي يختلف قليلاً أو كثيراً من محيط إلى أخر، ومن موقف إلى أخر، ومن الجليّ أن هذا المعنى هو ذو أهمية في فهم المعنى وإدراكه للكلمة أو التعبير؛ لأنّ المعنى الكلي لا يتوقف على المعنى اللغوي وحسب، وإنما يقترن بالمعنى الثقافي والاجتماعي ... "(٢).

---

(١) دراسات لغوية في ضوء الماركسية، ت. ميشال عاصي، ص٧.

(٢) صالح مهدي شريدة: العلاقة بين اللغة والمجتمع، مجلة المجمع العلمي العراقي، م٢٥، ص٣١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات .. "[1].

وتحدّث ابن طباطبا عن الموقف، وعدّه أساساً لحُسْن الكلام وجودته:

" ولحُسْن الشعر وقَبول الفَهْم إياهُ عِلة أُخرى وهي موافقته للحال التي يعدُّ معناه لها: كالمدح في حال المفاخرة، وحضور من يُكبتُ بإنشاده من الأعداء، ومن يُسرُّ به من الأولياء. وكالهجاء في حال مباراة المَهاجي، والحطّ منه حيث يُنكى فيه استماعه له. وكالمَراثي في حال جزع المُصاب، وتذكُّر مناقب المفقود عند تأبينه،والتعزية عنه، وكالاعتذار والتنصّل من الذنب عند سلّ سخيمة المَجْني عليه، المعتذر إليه. وكالتحريض على القتال عند التقاء الأقران، وطلب المغالبة. وكالغزل والنسيب عند شكوى العاشق، واهتياج شوقه وحنينه إلى من يهواه"[2].

وتنبّهت البلاغة العربية إلى أهمية الموقف عند تأليف الأسلوب، فنهض علم المعاني إلى مراعاة الموقف، واتساق الكلام مع مقتضى الحال.

ويَفْتَرِض علم المعاني أنّ أي تغيير في التشكيل اللغوي يؤدي تلقائياً إلى تغيير في معناه، فالعلاقة بين الشكل والمضمون لازِبَة وحتمية.

ولم يقتصر الاحتفاء بالمقام على البلاغيين بل التفت إليه اللغويون والنحاة أيضاً، فعلى الرغم من معيارية اللغويين العرب في تقعيد اللغة إلا أنهم لم يغفلوا الأثر الاجتماعي في الحِراك اللغوي، فقد تنبهوا إلى أثر البيئة حين جمعوا اللغة، وأوما النحاة إلى الوجهة الاجتماعية

(١) الجاحظ: البيان والتبين، ١/ ١٣٨-١٣٩.

(٢) ابن طباطبا: عيار الشعر، ص٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الدرس النحوي، فكثير من دروس النحو لا يمكن استيعابها وفهم خواصها التركيبية، إلا بربطها بمقاماتها الاجتماعية التي توظَّف فيها، نحو: درس النداء الذي يفترض في جوهره منادياً ومنادى، ولا يكون النداء في فراغ، إذ يقتضي الأمر وجود طرفيه، وملائمة حرف النداء للموقف الكلامي.

وإذا كانت (الاستغاثة) هي نداء من يخلِّص من شدة أو يُعين على دفعها، فإنها نمط خاص من النداء له عناصره التركيبية، وتقتضي إصغاء. وهذا يُجلّي الوظيفة الاجتماعية لهذا الأسلوب، إذ لا يُنادى إلا المُميِّز؛ لتعذُّر الإجابة من غير العاقل.

ويتعيَّن مراعاة المقام الاجتماعي في الدرس النحوي حين نوظّف "الإغراء والتحذير"، و "الحذف"، و "الاستفهام"، و"الإيجاب والطلب"، و"النعت المقطوع"، وغيرها من دروس النحو؛ إذ لا يمكن استيعاب هذا التوظيف وفهم خواصه التركيبية إلا بربطه بمقاماته الاجتماعية التي تتحقَّق فيه، فاللغة تتشكل في أساليب متعددة تبعاً للموقف الذي تستعمل فيه.

وأومض بعض العلماء إلى التنوعات اللغوية للجنسين، ففي تعليق لأبي بكر الباقلاني على قول امرئ القيس:

لكَ الويلاتُ إنّكَ مُرْجلي

قال الباقلاني: "وهذا من كلام النساء"[1].

وحين درس ابن جني أسلوب الندبة، ذكر أنّ "أكثر من يتكلم بهذا الأسلوب النساء"[2].

ولم يُغفل ابن جني الوجهة الاجتماعية في منهجه، فاللغة – وَفْقَ تعريفه: "أصوات يُعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم"[3].

---

(١) أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص٩٥، نقلاً عن الباقلاني: إعجاز القرآن، ص٨١.

(٢) ابن جني: اللمع في العربية، ص١٢.

(٣) ابن جني: الخصائص، ١/ ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهي ظاهرة اجتماعية تتطور تبعاً لحاجات المتكلمين وأغراضهم، فالمجتمع مجموعة من الناس تترابط من أجل غرض أو حاجات، واللغة وسيلتهم المضمونة في التواصل والخطاب.

ولعلنا نستشعر الأثر الاجتماعي في ظاهرة التدرج السني، فللأطفال حديثهم الخاص الذي يميزهم من غيرهم من البالغين، وكذا للنساء لغة لا يستخدمها الرجال، وهناك مجتمعات تستخدم فيها الطبقات طريقة في الكلام تميزها من غيرها.

فظاهرة التدرج السني، والتنوعات اللغوية تعكس أبعاداً متنوعة، كالأصل العرقي، أو الأصل الإقليمي، أو الاجتماعي، أو الجنسي ...

وعلى الرغم من أنه توجد لغات بعدد الأفراد، فلكلٍ سمته اللغوي الذي يَميزُه من الآخرين إلا أنَّ هذه التنوعات بين الأفراد لا تُقيم قطيعة بين أعضاء الجماعة اللغوية، فهم يتواصلون من خلال الجوامع المشتركة التي تَميزُ هذه الجماعة من غيرها.

فالسلوك اللغوي والاجتماعي في حالة حراك واحتشاد دائمين، وهذا ما أيَّده ديتمار (Dittmar) إذ يرى: "أنَّ السلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي في حالة تفاعل دائم، وأنَّ حالات الحياة المادية عامل مهم في هذه العلاقة"(١).

ومما يَعْضُد هذه الوشائج بين اللغة والمجتمع، أنّ لكل مجتمع تقاليده الاجتماعية ومعتقداته الدينية التي يمارسها الأفراد في كثير من الأحيان عَبْرَ اللغة، فالقوانين الاجتماعية التي تُمارِس سطوتها على أعضاء الجماعة تُلقي بظلالها على السلوك اللغوي. "فلكل جماعة لغوية طرائقها في التحية ، والتهنئة، والعزاء، واللقاء، والجلوس، والحفلات، والوداع، وممارسة

---

(١) An Introduction to Sociolinguistes, by, Wardhaugh, P. 12.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعائر الدينية، وأي خروج عن هذه الأعراف يوقع الأفراد في الحرج والسخرية وقد يعرضهم للإهانة والعقوبة"[1].

فَهبْ أنّ إنساناً هنّا عريساً بقوله: "عظّم الله أجركم" إذن لتحولت التهنئة بالفرح إلى فأل شر يستهجنه السامع، على الرغم من أنّ العبارة تحمل معنى الدعاء، ولكن لم يراع صاحبها الموقف الاجتماعي في ذلك.

ولابدّ من وضوح الهدف في السياق، فقد نهدف من استعمال اللغة إلى إقناع الآخرين، أو إغضابهم، أو مجاملتهم، إلى غير ذلك من أهداف متنوعة تتساوق والعلاقات الاجتماعية.

فوظيفة اللغة البارزة وظيفة اجتماعية: "فالعبارات المختلفة المستخدمة للتحية، وتلك المستخدمة للتأدب عند مخاطبة الآخرين لها وظيفة اجتماعية أخرى، فهي في كثير من الحالات تدل على الطبقة الاجتماعية أو المركز الاجتماعي الذي يشغله كل من المتكلم والمخاطب على السواء كما تدل على العلاقة الاجتماعية بينهما"[2].

إنّ مراعاة المقام الاجتماعي بلُطْف النظر يُكْسب المتحدث القدرة على التأثير، ويوفّر له شرطا مهما من شروط الخطاب، فقديماً قالت العرب: "لكل مقام مقال" وفي هذا إدراك لأهمية السياق، ومراعاة المقامات وفقاً للعوامل المرتبطة بالمقال: كالعمر، والجنس، والتكوين الثقافي والاجتماعي، وهذه ترتبط بشخصية المتكلم أو السامع.

وينبغي أن يُراعى في السياق عنصر الموضوع: فحين يستعمل الإنسان اللغة في موضوع ما، يقتضي ذلك الالتفات إلى الاتساق والمفردات المستعملة، فلا يُوظّف مصطلحات علمية في سياق شخصي، أو حماسي.

٥٤٩٥٣٠

---

(١) ينظر: على عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع ص٣-ص٨.

(٢) نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص٢١٠-ص٢١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالكلام – كما وصفه فيرث (J.R. Firth) – ليس ضرباً من الضوضاء يُلْقَى في فراغ، فمدار فَهْم الكلام والقدرة على تحليله، إنما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي مُعيّن.

احتفى (فيرث) بالسياق فحدّد مفهومه للمعنى: "بأنه علاقة بين العناصر اللغوية والسياق الاجتماعي، فمعاني تلك العناصر تتحدد وفْقَ استعمالها في المواقف الاجتماعية المختلفة، فقد يكون لكلمة أو جملة ما معنى لا يلبث أن يتغير تبعاً للموقف الموظّف فيه.

فالإنسان يتخاطب مع غيره ضمن مواقف اجتماعية متنوعة تُحدّد شكل الأسلوب الذي عليه أن يعتمده، ونوعية الكلمات التي عليه اختيارها، فثمة إطار اجتماعي تُستعمل اللغة ضمنه، فتتأثر بمعطياته، وتتكيف مع عناصره"(١).

وممن عُنوا بالسياق عالم الإناسة مالينوفسكي (Malinowski) الذي أكّد ضرورة دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي: فهذه المعطيات لا تتحدد اعتباطاً، فالكلمة تُستعمل كلما أمكن أن تؤدي عملاً، لا لوصف شيء أو ترجمة أفكار وحسب.

"بحث (مالينوفسكي) وظيفة اللغة حين درس حياة السكان في "جزر تروبريان الغربية" من (غينيا الجديدة)، فلحظ سلوك سكانها البدائي وعلاقة هذا السلوك بالاستعمالات اللغوية، وانتهى من بحثه بجملة من الملاحظ، منها: أنه لابد لدراسة اللغة في الجماعات البدائية من أن نمهد لها بدراسة أخرى هي دراسة النشاط العام، إذ إنّ اللغة في الواقع هي طريقة من طرق السلوك الإنساني في ظرف عملي خاص، وهي عامل من عوامل ربط الفرد بجماعته ..." (٢).

---

(١) مصطفى لطفي: اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ص٤٧.

(٢) أوتو يسبرسن: اللغة بين الفرد والجماعة، ت. عبد الرحمن محمد، ص١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتأسيساً على هذه الوظيفة، وصف (مالينوفسكي) اللغة بالمرآة الصادقة التي تعكس صورة واضحة لما عليه أفراد المجتمع من ثقافة ونُظُم وعادات وتقاليد واتجاهات.

"أكّد علماء اجتماع اللغة أنّ التطور الثقافي والحضاري لأي أمة يؤثر تأثيراً بالغاً في مدلولات الألفاظ، حيث تتجه بها وجهة معينة قد تبتعد قليلاً، أو كثيراً عن أوضاعها الأولى تبعاً لدرجة التطور الثقافي"(١).

ولعل أسلوب التضايف بين اللغة والمجتمع أفضى بالدارسين إلى إعلان علم مستقل أُطلق عليه "علم اللغة الاجتماعي" (Sociolingiustics)، شُغِل برصد اللغة في سياقها الاجتماعي، والوقوف إلى التغيرات الحادثة من الحراك المتبادل بين اللغة والمجتمع.

وقد صدر علماء اللغة الاجتماعيون عن قناعة ترى أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تتوافر فيها خصائص الظواهر الاجتماعية. وهي تدخل في علاقة جدليّة مع غيرها على وجه الاستمرار، وهي نَسَق عام يشترك في اتّباعها أفراد المجتمع، وبها يتواصلون فيما بينهم؛ لأنّها أظهر العُرى التي تجمع بين أعضاء هذه الجماعة، وهي على الدوام رمز لما بينهم من تشارك.

ليست اللغة من صنيع فرد، إنّما هي تَعاقد يجري بين أعضاء الجماعة تقتضيها طبيعة الاجتماع، فالعلاقة بين اللغة والمجتمع هي علاقة الفاعل والمُنْفَعِل لكليهما. وليس بمُكْنَة عالم الاجتماع نَزْعُ الأثر اللغوي في دراسته للمجتمع، كما أنّ دراسة اللغة تفضي إلى العناية بالسياق الاجتماعي، إذ "لا يمكن فهم اللغة خارج سياقها الاجتماعي، وإنّ علم اللغة النظري العام لا يمكن أن يواصل مسيرته دون الإفادة من إنجاز علم اللغة الاجتماعي بوجه خاص"(٢).

---

(١) ينظر: عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، ص ٢٢ وما بعدها.

(٢) هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ص٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما شجّع على نشوء علم اللغة الاجتماعي أنّ اللغة ظاهرة مُتَشعِبة الجوانب، فهي في وجودها بناء ذاتي يأتلف من مستويات صوتية وصرفية ومعجمية ونَظْمِيَّة ...؛ لأنّها في أدائها الطبيعي تتحقق بالمنطوق والمسموع، وهي كيان نفسي ترتبط بالدوافع والحاجات، وهي ظاهرة اجتماعية تمتد في بنية المجتمع وتكوينه. فاللساني يتوخى منهجاً يدرس تطور الألفاظ، وارتباط المفردات والتراكيب بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية ...

فاللغة ليست بناء مجرّداً من المؤثرات الخارجية، لذا كان ينبغي أن يُعير علماء اللغة اهتماماً لتأثير الحياة الاجتماعية على اللسان، فثمة تزامل بين العوامل الاجتماعية وكل من الكلام، والتنوعات اللغوية، واللهجات والازدواج اللغوي، والخطاب السياسي والأدبي والإعلامي ...

فتفسير الوقائع اللغوية بمعطيات المجتمع يُفْضي إلى تجلية الظاهرة اللغوية، وربطها بسياقها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَجَلِّيات العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي للجنسين:

شُغِل علماء اللغة بالتنوعات اللغوية وأثر العوامل الاجتماعية والثقافية فيها، مثل: التدرج السني، والانتماء العِرْقي (race)، والاختلافات بين الجنسين، والمكانة الاجتماعية، والسياق الاجتماعي للكلام، والمركز الاقتصادي والسياسي، وغيرها من العوامل التي تُسْهِم في التفكير اللغوي.

ولعل ما يستجلي الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي هو دراسة السلوك اللغوي للجنسين، وارتباط التنوعات اللغوية بالعامل الاجتماعي والثقافي.

فالاختلافات في الكلام بين الرجل والمرأة لا يمكن دراستها بنجاح بمَعْزِل عن بعضها، وبالتالي فإنَّ المواقع الاجتماعية المختلفة وغير المتساوية في القوة يجب بحثها ودراستها من منظور اجتماعي.

ويتعيّن إشراك الجانب النظري من العلوم الاجتماعية في مناقشة السلوك اللغوي للجنسين؛ لأنَّ كثيراً من التباينات اللغوية للجنسين تصطبغ بعوامل اجتماعية وثقافية، فالرجال والنساء نتاج تأثيرات المحيط وشروطه.

لقد جذّر المجتمع فروقاً بين الجنسين كتقسيم العمل، وسيادة الرجال على النساء، وحصر النساء بأعمال نِسْوِية الطابع في حقل الإنتاج الاجتماعي.

"يذهب دارسو الجنسوية إلى أنَّ الفرق بين الرجل بصفاته الإيجابية، والمرأة بسماتها السلبية مما يَنْجُم عنه الهرمية الضدية بين الذكر والأنثى، إنّما هو فرق أيديولوجي ثقافي اجتماعي دافع عنه المجتمع والثقافات المختلفة بقوة القانون والسلاح، كما أنَّ الضغط الاجتماعي والثقافي يؤسّس "بنية جنسوية"، ويجيز الدور الذي يشغله كل من الطرفين، وبهذا فإنَّ الثقافة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليست الطبيعة البيولوجية هي التي تضع قيوداً ومحـددات علـى طـرق التفكيـر والإبـداع والسلوك"[1].

ويدعّم علم النفس التجريبي هذه النظرة بإشارته إلى:

"أنَّ أكثر خصائص المرأة، نحو: أقل عدوانية، أقل اهتماماً بالأشياء التقنية، أكثر سـلبية، أقل استقلالاً، أقل إبداعاً، أقل طموحاً، ... سببها اجتماعي"[2].

فالمرء لا يأتي إلى العالم امرأة، كما تقول (سيمون دي بوفوار) – بـل يجعلـون منـه هكذا... "فالمرأة تبدأ بالقول أنا امرأة حين تحاول تعريف نفسها، وليس هناك رجل يفعـل ذلـك، هذه الحقيقة تكشف اللاتماثل بين مذكّر ومؤنّث، فالرجل هو الذي يحدّد الفارق الإنسـاني ولـيس المرأة"[3].

كان الاعتقاد السائد في القرون الخوالي، أنَّ منشأ هذا الاخـتلاف بـين الجنسـين هـو اختلاف (فسيولوجي) و (بيولوجي)، حتى تحوّلت هذه اليقينيات في وعي الأفراد إلـى مَشْـجب يُعلّقون أخطاء المرأة عليه، فهي جنس ضعيف، طبيعتها تُملي عليها الرضا بالهامش، وأخذ دور التابع.

فالجَبْرية البيولوجية أمست الطبيعة الثانية للمرأة، والمُسوّغ لغيابها عـن مواقـع الفعـل والتأثير؛ لذا اقترنت المرأة – وَفْق ثقافة المجتمع– بأدوار نِسْـويَّة الطـابع فـي حقـل الإنتـاج الاجتماعي، فالنساء مُعرَّفات بالطبيعة أو مرتبطات بها بشكل رمزي، إذا مـا قـورنَّ بالرجـال المعرَّفين بالثقافة؛ التي تؤكّد ذاتها تبعاً لتفوقها على الطبيعة.

---

(١) ميجان الرويلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص٨٥.

(٢) أورزولا شوي: أصل الفروق بين الجنسين، ت. بوعلي ياسين، ص١٤.

(٣) رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ت. جابر عصفور، ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ الهوية الجنسوية تُفْرض على الجنسين منذ النشأة الأولى، فَيُدفع الأطفال بصورة منتظمة إلى دور جنسوي يتناغم وجنسهم *.

وترى عالمة النفس (أورزولا شوي) أنّ فرض الهوية الجنسوية يبدأ في رحم الأم، فإذا تمتع الجنين بحيوية زائدة قيل "سيكون صبياً". وكذا الأمر في الرَّضَاعة، فالأمهات يُرْضِعْن البنات بشكل مغاير لإرضاع الصبيان، وعلى البنات الصغيرات أنْ يتناولْن الحليب أسرع من الصبيان، وفي المتوسط تُفطم البنات أبكر من الصبيان بثلاثة أشهر. هنا تَقْبل الأم بصورة لا شعورية بسُلْطَة الرجل الصغير واستقلاليته، فتترك له الإيقاع الطبيعي لرَضَاعَتِه، فيما تَقْطَع على البنت إيقاع رضاعتها، ولا تُبْدي استعداداً لمسايرتها، بل تُخْضِعُها لإرادة غريبة"(١).

نهضت كثير من الدراسات لبحث الفروق بين الجنسين، والوقوف على الحقيقة التي مرّرها المجتمع، بشأن تفوُّق الذَّكر، وتراجع الأنثى، وهل مبعث ذلك ما وهبته الطبيعة للذكر من قدرات بيولوجية وعقلية، ونزعتها من الأنثى؟.

لكنْ هذه الدراسات انتهت إلى"أنّه لا يتوفر دليل علمي في البيولوجيا أو الفسيولوجيا ما يثْبتْ أنّ المرأة أقل من الرجل عقلاً، أو جسداً، أو نفساً.

---

* إنّ الأصل في التعبير بهوية الجنس Gender identity ، أي في تعرّف الولد أو البنت على حقيقة جنسهما ولدا أو بنتا، إنّ هذا الأصل هو هذه الأنوثة التي يعايشها كل من الولد والبنت بالأم منذ الولادة. ويطلق علماء النفس عليها اسم الأنوثة الأولية Proto femininity ، وهناك من الشواهد ما يثبت أننا نفطر على هذه الأنوثة منذ ولادتنا، ولكننا نتجه من بعد إلى تأكيد الذكورة فينا أو الأنوثة الأولية، ولو لم تكن هذه الأنوثة فطرية ما كان من الممكن أن يتحول الأولاد إلى الأنوثة ويتصرفون بخنوثة.
والتخنُّث في الذكور سببه تعلُّق الأولاد الذكور بالأم حتى ليشق على الولد أن يستغني عن أمه في سن المدرسة، ويجد العنت الشديد في الانفصال عنها.
ينظر: عبد المنعم الحفني: الموسوعة النفسية الجنسية، ٦٠، وما بعدها.

(١) أصل الفروق بين الجنسين: ص٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنَّ الوضع الأدنى للمرأة فُرِض عليها من المجتمع لأسباب اقتصادية واجتماعية لصالح الرجل، ومن أجل بقاء الأسرة الأبوية واستمرارها... "[1].

فهذا التسلسل الهرمي لا يستند إلى أساس بيولوجي أو طبيعي، بل يَنْسَلّ من خلال المنظومة الاجتماعية لإقامة الفروقات، وعدم المساواة.

تذهب روث بلير (Ruth Bleier) "أستاذة الطب" إلى" أنَّ التمييز الطبيعي أصبح جزءاً من (أيديولوجيا) تسعى إلى جعل ما هو في الحقيقة اختلافات اجتماعية وسياسية يبدو فوارق طبيعية وبيولوجية، وبذلك تسوّغ التمايز في الأدوار الاجتماعية وعلاقات الهيمنة بالخضوع، وأكثر من ذلك أنَّ ما يمكن أن يُفْرَض بوصفه طبيعياً يصبح ببساطة معياراً يسوّغ القواعد والأعراف التي تقتضي استهجان كل من يحيد عنها وعقابهم"[2].

فالتّذكير والتّأنيث مفهوم ثقافي وتصور ذهني، وليس قيمة طبيعية جوهرية. فلماذا يجري تفريغ الجسد المؤنّث من اللغة، وعزله عن الفعل والتفاعل اللغوي؟ يجيب عبد الله الغذامي عن هذا التّساؤل بقوله: "إنَّ ذلك عائد إلى التصور الثقافي الذي يرى أنَّ جسد المرأة خالٍ من الفعل، وهذا تَصَوُّر ثقافي عالمي، نقرأ لدى الدنمركيين هذا المثل (للنساء فساتين طويلة وأفكار قصيرة)[3]".

فاللغة تعكس تنظيم المجتمع، ولكنها أيضاً وسيلة لبناء الواقع/الحقيقة، والسلوك اللغوي يعكس الفروقات في القوة، وفي الآن نفسه يُسْهِم في التوزيع غير العادل.

إنَّ تنوعات اللغة مرتبطة بالاختلافات في الطبقة الاجتماعية والسلالة، والعمر، والجنس. واللغة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بثقافة الناس الذين يتكلمونها، وإنَّ هذه الثقافة يمكن تحليلها

---

(١) نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل، ص١٨.

(٢) ميجان الرويلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص٨٦-ص٨٧.

(٣) عبد الله الغذّامي: ثقافة الوهم، ص٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحصر حزمة من المواقف الاجتماعية التي يُسمّى كل منها (مقاماً)، فالألفاظ الخاصة التي تُعبّر عن فئة من الناس أو مرحلة من مراحل العمر تشبه العلامة الفارقة التي تميّز تلك الفئة أو المرحلة.

وتتجلى هذه التمايزات في المواقف الاجتماعية العديدة، ولعل أظهرها أساليب التحية والنداء، وأحسب أن التمثيل على ذلك يحقّق ما نهجس به.

- عبارات التحية: أعرض هنا إلى العبارات الشائعة في مجتمعنا لتبيّن أثر السياق الثقافي والاجتماعي في السلوك اللغوي:

- مرْحباً، مرْحبا (بترقيق الراء وتسهيل الحاء).

- صباحُ الخير، صباح الخير (بإشراب الصاد سيناً، ومطل الياء).

- صباح الورد، صباح الفُل.

- السلام عليكم.

- هايْ.

- مساء الخير، مسا الخير، مسا الخير.

-على العافية، العوافي، يعطيكم العافية (ينطيك العافية، ينطيكوا العافية "للجمع". أو ينطيشوا العافية بنطق الكاف كما تنطق (ch) في الإنجليزية).

- قَو الرجال، قَوْكُم (تنطق القاف متأخرة إلى الخلف).

- عبارات النداء:

- ماما، بابا / أُمي، أبي / مامي، بابي / ممّاه، ببّاه / ممْ، دادي / يُمّه، يُوبه / يمّه، يابه.

لعلنا نستشعر من هذه العبارات الطبقة الاجتماعية أو المركز الاجتماعي الذي يشغله المتكلم أو المخاطب على السواء، كما تومىء العبارات إلى المراحل العمرية، والمستوى الثقافي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للمتكلم، والفروق الجنسية، والعلاقة التي تربط بين المتكلمين والمخاطبين، إلى غير ذلك من اختلافات اجتماعية، مما يؤكّد أنّ اللغة سلوك اجتماعي يحدّده المجتمع في المقام الأول.

يشرع التركيب الاجتماعي والثقافي ببذر قوانينه منذ تخلّق الجنسين، فثمة سلوك متعيّن للجنسين، ولا ينبغي الخروج عن هذه الضوابط، فالبنت في بعض الشرائح الاجتماعية تلقّن اللغة بطريقة مغايرة للصبي، فلا يُسمح لها الحديث بصوت عالٍ، أو مقاطعة الكبار، أو إبداء رأيها في حوار أو مناقشة، أو أن تنطق بعض الألفاظ، أو أن تتداول بعض النُكَت.

... فالبنات الصغيرات لا يتحدثن هكذا، البنت لا ترفع صوتها، البنت المؤدبة لا تتدخل في شؤون الكبار، البنت تبتسم ولا تضحك ... .

أما الصبيان فيحظوْن بما حُرّم على البنات، فلهم أن يصرخوا، وأن ينفجروا غضباً، وأن يعترضوا، وأن يقاطعوا في الحوار، وأن يُلقُوا النّكات البذيئة، وأن يضحكوا بصوت مرتفع، وأن يسخروا من الآخرين، فهم صبيان، ويحقُ لهم ما لا يحق لغيرهم.

ويُمْعنُ المجتمع في تعزيز هذا السلوك حتى يغدو قانونا طبيعيا يستكنّ في العقول فلا يحيد عنه أحد الجنسين، ولو حاولت البنت أن تَشبّ عن الطوق الاجتماعي لتعرضت للسخرية والتوبيخ، ولو قلّد الصبي البنت في حديثها لاستهجنوا صنيعه، ورموْه بالتخنّث، والتكسُّر، والميوعة ...

تذكر روبين لاكوف (Robin Lakoff) : "أنّ الأطفال في اليابان من الجنسين يستخدمون أدوات التعريف الخاصة بالمرأة إلى أن يبلغوا الخامسة من أعمارهم، ثم يُوجّه الذكور إلى التوقف عن استخدام هذه الأساليب اللغوية حتى لا يوبّخوا ويُسْخر منهم"[1].

(1) Extract from Language and Woman's Place, by Robin Lakoff, from (The Feminist Critique of Language, Cameron, D (ed) 1998, p. 242).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثمة أعراف اجتماعية للجماعات والأمم تظهر العامل الاجتماعي في السلوك اللغـوي "فالأيبيون (Abipon) في الأرجنتين يقومون بإضافة اللاحقة (in) (إن) في نهاية كل كلمـة، إذا كان المتحدث أو المتلقي من المحاربين.

وتتضمن لغة اليانا (Yana) في "كاليفورنيا" صيغة تستخدم في الكـلام عن النسـاء أو فيما بينهن"[1].

"وفي لغة الكوساتي (Kossati) المستخدمة في "لويزيانا" (Louisiana) هناك اخـتلاف في صيغ الأفعال التي تستخدمها الإناث، وتلك التي يستخدمها الذكور يقوم الذكـر بإضافة (S-) في نهاية الصيغ المؤنثة: ومن الأمثلة على ذلـك: أنّ الـذكور يسـتخدمون صـيغة lakáws، وتستخدم النساء صيغة lakáw ، وتعني الصيغتان "يرفع" "[2].

"وفي واحة سيوة الواقعة في صحراء مصر الغربية يتحدث الرجال اللغة العربية بجانب استخدام اللغة السيوية، أما النساء فلا يتحدثن إلا باللغة السيوية، ولا يستطعن التعامل بالعربية.

وشبيه بهذا في المناطق النُّوبية في مصر أو البَرْبَرية في المغرب العربي والمهرية فـي شرق اليمن. وارتباط لغة بعينها بالرجال دون النساء يرجع إلى طبيعة العلاقـات الاجتماعيـة، فمجتمع النساء في هذه البيئات منفصل تماماً عن التعامل الخارجي، ولذا لم تدخله العربية: لغـة التعامل الخارجية، ولغة التعليم والثقافة"[3].

إنّ إنتاج الخطاب في كل مجتمع هو إنتاج مراقَب، ومنتقى، ومُعاد توزيعه مـن خـلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها الحدّ من سلطانه ومخاطره.

---

(١)See: The Feminist Critique of Language, Edited by, Deborah Cameron, p. 242.

(٢) هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ص١٩٠.

(٣) علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، ص٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا تقبلنا فكرة (ميشيل فوكو) التي ترى: "أنّ ما هو صواب يعتمد على من يُهيْمِن على الخطاب"[1]، فمن المعقول أن نسلّم بأنّ سيادة خطاب الرجل أوقع المرأة في فخ حقيقة المذكر، فحين سيطر الذكر على الخطاب قام بتشكيل الواقع وفْق تصوراته، فوزّع الأدوار الاجتماعية، وعضد موقفه ببناء التقسيمات، واختيار المعاني، بعد ذلك قام بالمصادقة عليها، ولم يكن للمرأة في هذا سوى الرضوخ، والرضا بنصيب "أم الخلَيْس" في الشاهد النحوي المشهور.

في ظل هذا المشهد الذي آلت الأمور فيه إلى الرجل، تشكّل السلوك اللغوي للجنسين، فالمرأة أكثر ميلاً للمحافظة على العادات والأعراف، وأشد التزاماً بالمعيار، فهي لا تنساق إلى التغيرات الحادثة باندفاع الرجل.

ولعل هذا السلوك الذي تنهجه المرأة يحقق لها – وفْق نظرتها- احتراماً في التراتب الاجتماعي، ويجنّبها السخرية والانتقاد من محيطها، فقلّما تلجأ المرأة إلى اللغة السوقية أو الابتذال في الألفاظ.

وقد لا ينسحب ذلك على المرأة العربية في العصر الراهن، فهي تنتحي –على الأغلب– لهجة محلية تحظى بالسيرورة والمكانة الاجتماعية؛ لأنّ ذلك يضفي عليها مُسْحة أنثوية، إضافة إلى أنّ الدور الذي تشغله المرأة في السُلّم الاجتماعي لا يوفر لها سُبُل اكتساب لغة الثقافة السائدة، إذ إنّ دور المرأة مُخْتزل في الأعمال المنزلية وتربية الأطفال، وفي أعمال اجتماعية محدودة؛ مما يُلجيء المرأة إلى الاكتفاء باللهجة المحكيّة في أدائها اللغوي.

---

(١) ميشيل فوكو : نظام الخطاب، ت. محمد سبيلا، ص٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الرجال فلهم فضاؤهم المتراحب، فملهم السياسي، والاقتصادي، ورجل الدين، والتربوي، والعسكري، والإداري ... إلى غير ذلك من أدوار تُسْهِم في إكسابهم اللغة القياسية إلى حد كبير.

فالتنوع اللغوي يلتحم بالعامل الاجتماعي وجوداً وعدماً.

ومما يومئ إلى العامل الاجتماعي وأثره في تشكيل السلوك اللغوي للجنسين. "أنّ النساء في اليابان يضفن اللاحقة ne إلى نهاية كل جملة دلالة على أنّهن نساء، مما يدل على المكانة الاجتماعية التي تشغلها المرأة في المجتمع الياباني. الذي – غالباً- يصوّر المرأة أنّها تابعة للرجل، وأنّ مكانها دائماً في البيت، لذا يستخدم الرجال كلمة Kanai للإشارة إلى زوجاتهم، وتدل هذه الكلمة على الشخص الذي يبقى رهين البيت ، إذ إنّ المقطع "Ka" يعني البيت، المنزل، العائلة، و "nai" يعني الشخص في إطار المجتمع الياباني.

وتعبّر كلمة Kanai" عن علاقة الأعلى بالأدنى، أي الرجل بالمرأة، ولعل الأسوأ من ذلك، أنّ الرجال الطاعنين في السن يستخدمون كلمة "Gusai" وتعني الزوجة الغبية للدلالة على زوجاتهم، والاستهجان هنا أنه لا توجد كلمة بمعنى الزوج الغبي، بل إن هناك تعبيراً "يا سيد" لمخاطبة الرجل من قبل المرأة"(١).

"وأوضح جيرتز Geertz أنّ النساء في جزيرة (جاوا) في أندونيسيا يمارسنَ المهن المختلفة، ويملكن المزارع ويُشرفن على الحصاد، أما الرجال فيقومون بأعمال البيت كالتنظيف، والتدبير المنزل وإعداد الطعام.

وفي هذه الجزيرة تحظى لغة النساء بالسيرورة والتمثُّل من قبل الأطفال والبالغين "(٢).

---

(١) إبراهيم المنلا: النسوية من منظور علم اللغة الاجتماعي، مجلة أفكار، ع١٤٩، ص٢٠.

(٢) Woman, Culture and Society, by Michell Zim and Lamphere, p. 25.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووصف سيجل (Seigel) العائلة الأتنجية في أندونيسيا: "بأنّ النساء فيها يقطنّ في المنزل الخاص بالأباء والأجداد بعد الزواج، ويمتلكن قياد الإدارة في البيت.

ويقتصر دور الرجل في هذه العائلة على جلب المال، وتنظر نساء هذه العائلة إلى دور الرجل بأنه محصور بين الطفل والضيف".(١)

لعل هذه التجليات لمكانة المرأة تستدعي مرحلة مرّت بها المجتمعات وهي مرحلة السيادة المتربركية (الأمومية)؛ إذ كانت المرأة تنافس الطبيعة في خصوبتها، وهي السيدة الأولى في المجتمع، بيدها معاقد الأمور، وباسمها كانت تهجس الثقافة، وهي موضوع التأمل، ومنبع الحركة والحياة.

لذا "فإن أول ديانة للرجل كانت المرأة، منها بدأ تعبده، وإليها شرعت الصلوات الأولى، وهي الرحم العالي، ومنشئة الكون، ومصدر كل شيء، من ذاتها تخلّق الإنسان، وفي بطنها نشأ"(٢).

كتب ميشيل شتيفان (Michael Eshteavan) عن المجتمع الأمومي: "كانت النساء منتجات في المجتمعات المتربركية، وكنّ يتحكّمن بوسائل الإنتاج، ولسيطرتهن على السلطة الاقتصادية والاجتماعية امتلكن السلطة السياسية"(٣).

وفي ظني أن هذه التحقّقات الاعتبارية للأنثى قد تُفْضي إلى تغيير في الخطاب السائد، والسلوك اللغوي للأفراد، فالأنثى حين تتمتع بحرية الخطاب، وتنوّع الاستعمال بما يوانم الدور المنوط بها، فإنه سيغتني معجمها الذهني ويتنوع، وهذا يؤكد ارتباط قوة الخطاب بروافد الحضور.

---

(1) See: Woman, Culture and Society, P. 26.

(٢) كامبى: العشق الجنسى والمقدس، ت. عبد الهادي عبّاس، ص٢٠-٢١.

(٣) عن: أورزولا شوي: أصل الفروق بين الجنسين، ص٣٠-٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ اللغة تتأثر بمحيطها، فارتباطها بالمجتمع ارتباط الجزء بالكل، ولعل هذه الإرهاصات متعيِّنة في سلوك الأفراد في المجتمع.

هذه الرؤى الاجتماعية سكبت نَسَقها في يَخضور اللغة حتى صيَّرتها بيد الأقوى، فشكّل الرموز، واجترح المفردات، وتربّع على عرش الخطاب.

يتباين السلوك اللغوي للجنسين تبعاً للأثر الاجتماعي المُمارَس على الجنسين، فالمجتمعات التي تضرب حُجْبَها على الأنثى، يزداد فيها التباين بين لغة الأنثى ولغة الذكر فيصبح للأنثى ألفاظها، وموضوعاتها، واستعمالها اللغوي الذي يميزها عن لغة الذكر.

أما المجتمعات التي تتيح للجنسين التفاعل والاختلاط فإنّ السلوك اللغوي يتضام في شكل الخطاب، واختيار المفردات، بل قد يتقارب في الأداء اللغوي.

لاحظت الباحثة جينيفر كوتس (Jennifer Coates) أنّ مجموعات معينة من النساء مثل المتخصصات، والمشتغلات بالسياسة قد اخترن لأنفسهن أساليب لغوية جديدة وفّرت لهن التقارب من اللغة السائدة/لغة الرجل. بأساليب متنوعة، منها:

١- تجنُّب الأصوات الحادّة ذات التردد العالي.

٢- استخدام الألفاظ المُبْتَذَلة، والمفردات السُّوقية والمحرّمة Taboo .

٣- اختيار الملامح فوق التركيبية الأكثر قرباً من ملامح الرجال، كاستخدام الأنماط التنغيمية الهابطة بدلاً من الصاعدة.

٤- تفضيل الأسلوب الأكثر جَزْماً في التفاهم داخل المجموعة.

٥- التفاعل في موضوعات – كانت وقْفاً على الرجال- مثل السياسة، والاقتصاد، والاجتماع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- الميل إلى استخدام اللغة السوقية، وتجنب اللغة المعيارية"[١].

لعل ما دفع هؤلاء النساء لنهج هذا السلوك هو سيطرة لغة الرجل، وتسيّده إنتاج الخطاب، فالمرأة بتماهيها مع لغة الرجل تقترب من القوة، ومنافسته في مضارب الحياة.

لذا لجأت بعض الكاتبات إلى انتحال أسماء ذكورية للكتابة في المجلات والصحف، لأنّ المجتمع لم يتقبل بعد خوض المرأة ميدان الكتابة، لارتباط لغتها -وفق المخيال الاجتماعي - بالسذاجة، والسطحية ومن هؤلاء " Marian Evans التي لجأت إلى اسم (George Eliot) والأخوات برونتي Brontes اللواتي استخدمن أسماء رجال هي: (Currer Bell, Ellis Bell, Acton Bell) ولجأت Mary Murfee إلى (Charles Egbert Craddock) في كتابتها"[٢].

إنها تلج اللغة عبر قنطرة الرجولة، فهي بوابتها الشرعية لتمنحها القبول والسيرورة، فالمرأة مسكونة دوما بهاجس إرضاء السائد، وتجنب الانتقاد. ولا نستهجن ما قالته (مي زيادة):

"نحن في حاجة إلى نساء تتجلى فيهن عبقرية الرجال"[٣].

ولعل التماهي مع لغة الآخر دعا الروائية (أحلام مستغانمي) للسرد بلسان الرجل؛ لأن ذلك يوفر لها حرية البوح، ويشرع لها أفاقا لا تتحقق لو كان السرد بلسان أنثى، إنها تكتب

---

(١) أحمد مختار: اللغة واختلاف الجنسين، ص٣٧، نقلا عن:

Women, Men and Language, by Jennifer Coates, P. 10.

(2) Foward a feminist poetics, by Elaine Showlter, P. 138.

(٣) مي زيادة: الأعمال الكاملة، ١/ ١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاستعادة صوتها، وممارسة حقها في اللغة "نحن نكتب لنستعيد ما أضعناه، وما سُرق منا خِلْسة"(١).

إنّ ما تلجأ إليه المرأة للمصاقبة من لغة الرجل هو حيلة نصبها المجتمع للمرأة لإبقاء الذكورة قيمة معيارية تظل المرأة ترنو إليها لمحاكاتها.

لقد قيّم جوك هيوزمان (Joke Huisman) النقاش الخاص بالمساواة والاختلاف بين الجنسين، فذكر:

"ما إن تُستَخدم كلمة "امرأة" في سياق سياسي أو نظري حتى تواجه لا شعورياً ما تواجه الحركة النسوية، فوضْع النساء يختلف عن وضْع الرجال، وتُعدُّ مكانة المرأة منحرفة عن السياق العام بفضل سيادة الذكورة على الثقافة، واللغة والقيم.

ومن المُحال أنْ نجد أسساً واضحة للفروق بين الرجل والمرأة من وجهة نظر واحدة، فثمة آراء ترى الجنسين متساويين، وآراء أخرى تقدمهما متباينين. وكل يستند إلى ما يعْضُد زعمه.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة للفروق. وكيف تنشأ، ننتهي إلى أنّ مفهوم كلمة "الرجل" يُمثِّل العام/الشامل/ العالمي/ الإنسان.

"أما كلمة "المرأة" فهي رديف الانحراف/الثانوي/الهامشي؛ لذا تُنْعتْ المرأة بالآخر، وهذا يفضي إلى إجبار المرأة على تحديد مكانها في عالم الرجل، أو أنْ تخوض مجالاً آخر في عالم (اللانساء)، وبالتالي تنأى عن التيار الرئيس. وباختيار سبيل الفرادة تنكفىء المرأة على ذاتها في ظل حضارة تهيمن عليها قيم الذكورة"(٢).

---

(١) أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص١٠٥.

(2) See: Women's Language, Socialization and Self – image, Edited by De'de Brouwer and Doriam de haan, PP. 131-132.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونخلص من عرض هذه الأنظار أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتسامى فوق وعي الفرد، فهي سابقة في وجودها وجود الفرد؛ لأن قواعدها ونظمها تأتلف والقيم التي ارتضاها عقل الجماعة، ومن ثم فهي تنظم عقول الأفراد، وتصوغ قنوات الاتصال اللغوية الأساسية التي يتفاعل الأفراد من خلالها.

فاللغة بذلك سلوك توجهه المعايير والمعاني والقيم في مواقف التفاعل التي تحددها المناسبات الاجتماعية المتعددة. فاستخدام الفرد للسلوك اللغوي تحكمه شروط النظام الاجتماعي، وتسهم هذه الشروط في اختيار الصياغة اللغوية المنسوقة والسياق الثقافي والاجتماعي للموقف الكلامي.

ولعل علاقة التلاحم التي تربط اللغة بالحراك الاجتماعي، أفضت إلى نهوض اللسانيات الاجتماعية برصد اللغة في سياقها الاجتماعي الذي تحدث فيه النشاطات التفاعلية للغة والثقافة، إذ إن هذه النشاطات تصطبغ بالخبرات الاجتماعية والثقافية للفرد، فالسلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي في حالة تفاعل دائم، ويتجلى في مناشط الحياة المختلفة، كالمناسبات الاجتماعية. فعبارات التحايا والمجاملة والوداع، وأضرابها من الكلام تمثيل لعادات اجتماعية، ووسيلة للتعاون والترابط الاجتماعي. ويمكننا من خلال هذا السلوك أن نتنبأ بلهجة الطبقة الاجتماعية Social class dialect، فالجماعات الاجتماعية تستخدم لهجات لغوية متباينة تتأثر بالتمايز الاجتماعي القائم بين هذه الفئات.

فلا مندوحة عن الالتفات إلى الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي، فالعوامل الاجتماعية بمنزلة الخلفية التي يجب الرجوع إليها لتحديد السياقات للمعنى والكلمات، فنحن مخلوقات اجتماعية يسهم المجتمع في تشكيل ذواتنا وصوغها وفق المنظومة السائدة، وبالتالي يتخلق سلوكنا تبعا للمعيار الضابط.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإخال أنّ رصد السلوك اللغوي للجنسين ينطوي على الصلة الوثقى بين العوامل الاجتماعية والسلوك اللغوي، فحقيقة الفروق القائمة بين الرجل والمرأة ليس مردُّها العامل البيولوجي أو الطبيعي، بل مرْجِعها العامل الاجتماعي والثقافي.

ولعل ما يكتنف هذه الفرضية من إلماعات ومغامرة، قوّى في النفس دراسة السلوك اللغوي للجنسين وفْقَ اللسانيات الاجتماعية؛ لأنّ دراسة اللغة في السياق الاجتماعي يُسْفِرُ عن فُيوضٍ قد لا تتأتّى من المناهج اللُّغوية الأخرى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثاني: "نظرة اللغة إلى الجنس"

- الفصل الأول: تصنيف الجنس في اللغة
- الفصل الثاني: الثقافة، اللغة، التحيز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تصنيف الجنس في اللغة:

مُذْ وَطِئ الإنسان هذه البسيطة وهو يعارك المجهول، لاستجلاء ما التبس عليه من أسرار وكُمُون. ولقد وُفِّق في مقصده في أحايين كثيرة، إلا أنَّ ثمة ظواهر اعتاصت عليه؛ لِما يكتنفها من غموض وتركيب.

ولعل من أظهر هذه المسائل، مسألة الجنس (المذكَّر/ والمؤنَّث).

فعلى الرغم مما خطَّه السابقون، وملأوا به أسفارهم، إلا أنهم لم يأتوا بالقول الفيصل في هذه المسألة، فأكثر ما ارتبطت هذه الظاهرة بالحكاية والسماع، وهذا ما انتهى إليه "ابن وهب" حين قال:

"ليس يُوصل إلى علم المذكَّر والمؤنَّث من هذا الباب إلا بالسماع دون القياس"[1]؛ لأنَّها لا تنتظم في قواعد صارمة لا تتخلَّف، ذكر"ابن التُستُري":

"ليس يجْرِي أمر المذكَّر والمؤنَّث على قياس مُطّرد، ولا لهما باب يحصرهما"[2].

ولم يقتصر الجأر بالشكوى على السابقين، بل انتقلت الحَيْرة إلى المحدثين، على الرغم مما بذلوا من وُكْد في البحث والنظر. ذكر المستشرق (برجشتراسر):

"التأنيث والتذكير من أغمض أبواب النحو، ومسائلهما عديدة مُشْكِلَة، ولم يُوفَّق المستشرقون إلى حلها حلاً حازماً مع صرف الجهد الشديد في ذلك"[3].

ولعل اقتران مسألة المذكَّر والمؤنَّث بالغموض، كامِنٌ في أسباب عديدة، منها: ارتباط التأنيث والتذكير بالتاريخ اللغوي، ونشأة اللغة والتطور الذي طرأ على مسيرتها أمر نجهله، فلم

---

(١) ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، ص٣٢٩.

(٢) ابن التستري: المذكَّر والمؤنَّث، ص٤٧.

(٣) برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، ص١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تترك الأمم من الأمارات الكافية ما يدل على لغتها، فانقرض كثير من اللغة الأولى، ودُرِست آثارها، وعفَت رسومها.

واحسب أنّ غياب الأدلة المادية والبراهين المحسوسة من شأنه الحئول دون الوصول إلى تفسيرات قاطعة لهذه المسألة وغيرها من الفصائل النحوية، كالعدد، والزمن، والجنس ...

وهناك سبب آخر أسهم في خَفَاء مسألة المذكّر والمؤنّث، هو تصنيف الجنس في اللغة، فقد تم توزيع المحسوسات والمُجرّدات على قسمين وحسب، هما: "المذكّر والمؤنّث"، فداخَل القسمَ الواحدَ ما لا يتعالق مع غيره بقرينة، فالمذكّر والمؤنّث ارتبطا بالجنس الطبيعي وهو قرينة مادية حسّية، وانتفاء هذه القرينة -بالضرورة- أسفر عن غموض في التصنيف، وفوضى في التوزيع.

وانعكس هذا الغموض على تفسيرات الباحثين وتأويلاتهم: فتغلّفت آراؤهم بالخيال والأسطورة ،مما زاد الظاهرة عَماءً واعتياصاً.

وإخال أنّ استدعاء تصنيف الجنس في اللغات الأخرى يعْضُد ما نهجس به، فالساميون صنّفوا الجنس وفْق قسمين: المذكّر والمؤنّث، مما يتفق وثنائية الوجود، إلا أنّ التفسيرات تباينت في العلة التي دفعت الساميين إلى هذا التصنيف.

يفْتَرِض وليم رايت (W. Wright): "أنّ الخيال الخِصْب للساميين كان يرى أنّ جميع الأشياء حتى تلك التي يبدو واضحاً أن لا حياة فيها (ليست نشيطة) تتمتع بالحياة، لذلك لم يبْرُز عندهم سوى جنسين وحسب، وكذا في الطبيعة جنسان"[1].

ويغلب على ظني أنّ الساميين وضعوا في البدْء اسماً واحداً لكلا الجنسين، فالإبل للمذكّر والمؤنّث، والعاقِر للمذكّر والمؤنّث، والطّفْل للمذكّر والمؤنّث؛ ولكن بعد أن ارتقت حياتهم

(1) Lectures on the Comparative Grammar, by. W. Wright. P. 131.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوسّعت أفاقهم. صاروا يفرّقون بين المذكر والمؤنث في اللغة لا بوسيلة نحوية، ولكن بكلمة للمذكر وأخرى للمؤنث.

ولهذا الافتراض ما يناصره من تجارب الإنسان ومنطق الأشياء، إذ إنّ التطور يبدأ من البسيط إلى المركب؛ لأنّ التمييز والتصنيف مراحل متطورة في التفكير المجرّد، الذي يُعدُّ شكلاً من المعرفة أكثر تعقيداً، ويعكس العالم وعملياته على نحو أكثر عمقاً وكمالاً بالمقارنة مع المعرفة الحسية. فالانتقال من المعرفة الحسية إلى الفكر المجرّد يُمثّل قفزة نوعية في تطور اللغة، لأنه تطور من معرفة الوقائع إلى معرفة تفصيلات أكثر عمقاً.

لم يكن اجتراح مفردة للمؤنث وأخرى للمذكر أمراً يسيراً في ظل عناء الإنسان اليومي وهو يواجه صراع بيئته بحيواناتها الضارية وبرودتها القارسة، لأنّ انتحاء هذه الوِجْهة - بالضرورة - سيضخِّم معجمه، ويُعنّي النفس لابتداع ألفاظ ملائمة للحادث من المسميات. وقد تنبه "بهاء الدين بن النحاس" في (التعليقة على المُقَرّب) إلى هذا الأمر، فقال:

"كان الأصل أن يوضع لكل مؤنث لفظ مؤنث غير لفظ المذكر، كما قالوا: عير، وأتان، وجدي، وعناق، وحمل، ورخِل، وحِصان، وحجْر، إلى غير ذلك.

لكنهم خشُوا أن تكثُر عليهم الألفاظ، ويطول عليهم الأمر، فاختصروا ذلك بأن أتوا بعلامة فرّقوا بها بين المذكر والمؤنث تارة في الصفة، كضارب وضاربة، وتارة في الاسم، كامرئ وامرأة، ومرء ومرأة في الحقيقي، وبلد وبلدة. ثم إنهم تجاوزوا ذلك إلى أن جمعوا في الفرق بين اللفظ والعلامة للتوكيد وحرصاً على البيان، فقالوا: كَبْش ونَعْجة وجمل ونَاقة، وبلد ومدينة"(١).

---

(١) السيوطي: الأشباه والنظائر، ١/ ٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأثنى جربر (Gruber) على هذا التصنيف فرأى أنّ: "الأفضل للغة أن تتضمن طُرُقاً اشتقاقية للحصول على كلمات جديدة بدلاً من اللجوء إلى كلمات جديدة تماماً. إذ إنّ الكلمة الجديدة أكثر كُلْفَة للغة، وتتطلب مزيداً من الروابط بين أجزاء الكلام وتقسيماته الفرعية، وتصنيفاته ذات الصلة بهذه الكلمة"[1].

اقتصرت اللغات السامية في تصنيفها للجنس على قسمين، ولم تُشَقِّق قِسْماً ثالثاً للمحايد، بل توزّعت مادة المحايد (المجازي) على المذكّر والمؤنّث.

فهل احتذت اللغات الأخرى نَهْج السامية في التصنيف، أم انتحت شِرْعة أخرى؟ لعل في الإلماعات اللاحقة إجابة عن التّساؤل.

الجنس في اللغات الهند أوروبية:

يذْكُر بروغمان (Brugmann) "أنّ في اللغات الهند أوروبية طريقتين للتعبير عن الفروقات في الجنس الطبيعي، إما بوجود جذور مختلفة (التي تقع عليها الحركات نفسها: فتحة، ضمة، كسرة). ولكن الحركات تختلف ومثالها كلمة deus التي تعني إله، dea التي تعني إلهة (مؤنث إله).

أما فيما يتعلق بالجنس القواعدي فإنه لا توجد إلا طريقة واحدة للتفريق بين المذكّر والمؤنّث، ألا وهي: استخدام حركات مختلفة في نهايات الكلمات، مثل anima: animus في اللغة اللاتينية"[2].

---

(1) Function of Lexicon, by Gruber, P.113.

(2) Grammatical Gender, by M.H.Ibrahim, p. 33.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرى بلومفيلد (Bloomfield) " أنّ تصنيفات الجنس في معظم اللغات الهند أوروبية لا تتفق في شيء في العالم العملي"(١).

ويضيف: "يبدو أنه لا توجد قاعدة أو مقياس عملي يمكن بوساطته تحديد الجنس في الألمانية، أو الفرنسية، أو اللاتينية"(٢).

لم تستقر اللغات الهندأوروبية على حال في تعاطيها مع الجنس، بل طرأ عليها تغيرات عديدة خلال العصور، "ففي تاريخ اللغات الرومانية والجرمانية، والكلتية، وفي الفرنسية كثيراً ما جرّت نهاية التذكير أو التأنيث معها الجنس المقابل لها، يقع ذلك إلى درجة أنّ عدداً كبيراً من الكلمات المنتهية بنهاية مؤنّثة، التي تعدُّها اللغة الصحيحة مُذكّرة حتى يومنا هذا استُعملَت أو مازالت تُستعمل في اللغة الدارجة على أنها مؤنثة، ولا سيّما إذا كانت مبدوءة بحركة تمنع إصحابها بالأداة المؤنثة مثل الكلمات "exercise" "تمرين" و "Orage" عاصفة، و ouvurage "عمل".

بل إنّ الكلمتين prophete "نبي" و "pape" "بابا" استُعملتا مؤنثتين في العصور الوسطى بسبب النهاية المؤنثة في آخرهما. وهذا يُرينا مقدار اختلاف الجنس الطبيعي عن الجنس النحوي"(٣).

إن كانت اللغات الهندأوروبية قد قسّمت الجنس إلى مذكر ومؤنث ومحايد، فإنّ هذا النظام بدأ يختفي من بعض اللغات، مثل: الفارسية، وفَقَدَ الجنس مغزاه باعتباره تصنيفاً قواعدياً، ولم يبقَ من النظام القديم آثار سوى تلك الموجودة في الضمائر كما هو الحال في الإنجليزية.

---

(1) Language, by Bloomfield, P. 271.

(2) Ibid P. 280.

(٣) فندريس: اللغة، ص١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانخفض هذا التصنيف من نظام ثلاثي إلى ثنائي كما هو في اللغات الرومانيـــة. فيمـا حافظت على النظام الثلاثي بعض اللغات، مثل: الألمانية، والسلفانية *.

إنّ تصنيف التذكير والتأنيث يختلف من لغة إلى أخرى لاعتبارات ثانوية في نظام اللغـــة ذاتها، فبعض التقسيمات مردُّه الصِّغَر والكِبر، أو القوة والضعف، أو الخشونة واللين.

"ففي لغة بورما أربع عشرة جهة تقسيمية، فالأشياء تنقسم باعتبار التســطُّح والفرطحـــة، والطول، وكونها للنقل، والحيوانات، والمجموعات، والمركبات، والكَهَنَة والسُّوقَة، وفيها اعتبـــار تقسيمي خاص لأمراء القصص وأميراته"(١).

"ويُصنَّف الجنس في لغة Abxaz (وهي إحدى اللغات القوقازية) وفْق ثلاث فئات، هي:

١. كائنات حيَّة مُذكَّرة.

٢. كائنات حيَّة مُؤنَّثة.

٣. أشياء غير حيَّة.

وتشمل هذه الفئات الثلاث زيادات توافقية معيَّنة، وتتضمن هـــذه الزيـــادات: الأماميـــة، والخلفية والداخلية، ولكن في بعض السياقات. مثل التوافق بين الفعل والاسم يتـــم تقليـــص هـــذه الفئات الثلاث إلى فئتين، هما: الفئة المذكَّرة، والفئة المؤنَّثة"(٢).

" وتميز لغة الألجونكين (Algonquin) بين جنس حي، وجنس غير حي، ولا يهمها بعد ذلك ما يدخل تحت كل واحد من الجنسين من أشياء، فقد تضع الألجونكين بين الأشياء المدلـــول

---

* السلفانية: لغة تنتمي إلى الفرع السلافي الجنوبي من المجموعة البلطيقية الســـلافية ضمـــن العائلـــة الهنديـــة الأوروبية، وهي من اللغات المستعملة في يوغسلافيا. ينظر : محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظـــري، ص ٢٦٠-٢٦١.

(١) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص٢٥٠.

(2)Grammaire Comparée deskabgyes Caucasiennes. by Dumézil, pp. 2-3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليها بالجنس الحي إلى جانب الحيوان، الأشجار، الأحجار، الشمس، والقمر، والنجوم، والرعد، والثلج، والقمر، والخبز، والولّاعة ... .

وتطلق اللغات في الميدان الإفريقي على الجنس اسم "الطبقة"، فاللغات البنطية يسيطر عليها وجود "الطبقات" التي تمتاز كل منها بلاصقة خاصة، وعليها توزّع جميع الكلمات الموجودة في اللغة.

ويعلّل (فندريس) ذلك بأنه محاولة قام بها العقل لتصنيف المعاني المتنوعة التي يُعبّر عنها بوساطة الأسماء، وأغلب الظن أنّ هذا التصنيف يقوم على التصور الذي كان في ذهن السابقين عن العالم، وقد ساعدت عليه بواعث غيبية ودينية"[1].

فالتذكير والتأنيث تطريز اجتماعي، تُداخِل تصنيفاته سياقاتٌ متباينة المسارب تَمْتَح من تفكير الجماعة اللغوية وتصوراتها عن الكون والأشياء.

تصنيف الجنس في العربية:

تميّز العربية بين الجنس تصنيفاً واصطلاحاً، فالتذكير: "خلاف التأنيث والذَّكر خلاف الأنثى، والجمع ذكور وذُكورة، وذُكْران، ويوم مُذْكر إذا وصف بالشدة والصعوبة وكثرة القتل.

وقول ذكَر: صلب متين، وشِعر ذَكَر: فَحْل ورَجُل ذكر، إذا كان قوياً شجاعاً أنفاً أبياً، ومَطَر ذَكَر: شديد وابِل ... "[2].

"والأنثى خلاف الذكر في كل شيء، والجمع إناث، وأُنث: جمع إناث يقال للرجل: أنّثت تأنيثا أي لِنْت له، ولم تشدّد.

---

(١) ينظر فندريس: اللغة، ص١٣٠-ص١٣٢.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة "ذكر"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتأنيث خلاف التذكير.

وبلد أنيث: ليّن سهل، حكاه ابن الأعرابي، وأرض مئناث وأنيثة سهلة مُنْبتة. خليقة بالنبات، ليست بغليظة.

وزعم "ابن الأعرابي" أنّ المرأة إنما سُمّيت أنثى من البلد الأنيث، قال: لأنّ المرأة ألين من الرجل، وسُمّيت أنثى للينها"[1].

فالتذكير تبعاً لذلك معادل للقوة والشدة، والشجاعة، والأنفة والصلابة، أما التأنيث فيلتصق باللين والسهولة، والإنتاج والخصب والإنبات. ويتسق هذا التصور وأنظار النحويين الذين قرروا أنّ التذكير أصل، والتأنيث ثانٍ، وهذا ما هجس به سيبويه: "الأشياء كلها أصلها التذكير، ثم تختصّ بعد، فكل مؤنثٍ شيء، والشيء يذكر، فالتذكير أول وهو أشد تمكناً ... "[2].

لعل هذا الفهم النحوي يترسّم "قصة الخلق الأولى / خلق آدم، واشتقاق حواء الأنثى من ضلعه، فهما من نفس واحدة وفقاً لما جاء في القرآن: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً) [3].

فكما أنّ الذكر أول، وهو أصل الخليقة. والأنثى ثانٍ مُجْتَرح من الذكر، كذلك المذكر في اللغة عمدة الجنس، والمؤنث فرع، وهو محمول على المذكر. لذا ظل المذكر بغير علامة للتذكير، "فليس للتذكير علامة لأنه الأصل، وهو الأول، وإنما ألحقوا للمؤنث علامة في الأغلب؛ لأنه فرع التذكير"[4].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة "أنث".

(٢) سيبويه: الكتاب، ٣/ ٢٤١.

(٣) سورة النساء: ١ .

(٤) ينظر: المبرد: المقتضب ٣/٣٥، الزجاجي: الجمل في النحو ٢٩١، الزبيدي: الواضح ٢٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أضرب المذكَّر والمؤنَّث:

يتوزّع الجنس في العربية على صنفين رئيسين، هما:

١. الحقيقي ٢. المجازي.

"أما الحقيقي فما كان في الرجل والمرأة، وجميع الحيوان، لأنك لو سميت رجلاً "طلحة" لخبّرت عنه كما يخبّر إذا كان اسمه مذكّراً، ولو سميت امرأة أو غيرها من إناث الحيوان باسم مذكّر لخبّرت عنها كما كنت تخبّر عنها واسمها مؤنّث"(١).

وهذا الصنف "يُعْرف قياساً وسماعاً وطِباعاً، كانت فيه علامة التأنيث أو لم تكن.

وقد حدّد المذكّر الحقيقي بأنّه "ما كان من الحيوان مثل الذكور"(٢).

أما المؤنّث الحقيقي فهو "ما بإزائه ذكر في الحيوان"(٣).

لعل معيار العلماء في هذا التصنيف كان منضبطاً واضحاً؛ لأنّ ذلك مرتبط بالجانب المادي، يقول ابن يعيش: "المؤنّث الحقيقي والمذكّر الحقيقي معلومان؛ لأنهما محسوسان وذلك ما كان للمذكّر فيه فَرْج خلاف فَرْج الأنثى، كالرجل والمرأة"(٤).

وفصّل "ابن السّراج" بأنّ المؤنّث الحقيقي يأتي على ضربين:

- بعلامة

- وغير علامة"(٥).

والعاري من العلامة يُعْرف تأنيثه:

---

(١) المبرّد: المقتضب ٣/٣٤٨.

(٢) الصَّيمري: التبصِرَة والتذكِرَة ، ٢/٦١٣.

(٣) الزمخشري: المفصّل، ٢٣٧.

(٤) ابن يعيش: شرح المفصّل، ٥/٦٢.

(٥) ابن السراج: الأصول في النحو، ٢/ ٤٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالإشارة إلى مسماه في القرب بـ "ذي"، وفي البعد بـ "تلك"، ويساوي الاستدلال بالإشارة الاستدلال بالضمير، وبالوصف، وبالخبر، وبالحال، وبسقوط التاء في العدد من الثلاثة إلى العشرة.

وبظهور التاء في التصغير إن كان المصغر ثلاثياً"[1].

أما الصنف الثاني: فهو المجازي (المذكّر والمؤنّث غير الحقيقيين).

وهو خلاف ما ذُكر آنفاً، إذ لا مميز ولا ضابط ينتظمانه، لأنه لا يدل على ذات حقيقية أو محسوسة، وأُلحق بالمذكّر والمؤنّث على سبيل "المجاز"، فهو موقوف على الوضع والاصطلاح.

وهذا الصنف أشكل على اللغويين والنحويين، فأفردوا له المصنفات والرسائل؛ رغبة في ضبطه وتقييده، حتى ليخال للخاطر الأول أنّ مسألة التذكير والتأنيث قد خُصّصت للمجازي، فإذا مرّ اللغويون والنحويون بالمذكّر والمؤنّث الحقيقيين، مرّوا سراعاً، ولم يُطيلوا المكْث في مدارسة هذا الضرب، وكأنّ الجنس الحقيقي معلوم من اللغة بالضرورة، وإذا همّوا بمعالجة المجازي أفاضوا فيه مقاربة وتعليلاً وتصنيفاً.

ولا تثريب في ذلك، فمعرفة التذكير والتأنيث عُدّة الفصيح، بل تتقدم على معرفة الإعراب في العربية، وهذا ما قرّره أبو حاتم السجستاني:

"أول الفصاحة معرفة التأنيث والتذكير في الأسماء والأفعال والنعت قياساً وحكاية، ومعرفة التأنيث والتذكير ألزم من معرفة الإعراب"[2].

---

(١) ابن مالك: شرح عُمْدة الحافظ وعُدّة اللافظ: ص٨٢٦-٨٢٧.

(٢) أبو حاتم السجستاني: المذكّر والمؤنّث، ٣٥-٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينضاف إلى الصنفين الرئيسين للجنس في العربية: المذكّر والمؤنّث الحُكْمي، والمذكّر والمؤنّث التأويلي*.

- يُعرف المؤنّث الحُكْمي بأنه ما كانت صيغته مذكّرة، ولكنها أضيفت إلى مؤنّث فاكتسبت التأنيث بسبب الإضافة، كقوله تعالى: (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) (١)، فكلمة "كل" مذكّرة في أصلها، ولكنها في الآية اكتسبت التأنيث من المضاف إليه المؤنّث "نفس" (٢).
- المذكّر الحُكْمي: وهو ما كانت صيغته مؤنّثة في أصلها، ولكنها أُضيفت إلى مذكّر فاكتسبت التذكير من إضافته إلى اسم مذكّر، كقول الشاعر:

إنارةُ العقلِ مكسوفٌ بطوع هوىً وعَقْلُ عاصي الهوى يزداد تنويرا "(٣)

فكلمة "إنارة" مؤنّثة، ولكنها اكتسبت التذكير بإضافتها إلى العقل، فجاءت "مكسوف" مذكّرة لذلك.

- المؤنّث التأويلي: ما كانت صيغته مذكّرة في أصلها اللغوي، ولكن يراد لسبب بلاغي تأويلها بكلمة مؤنّثة تؤدي معناها، مثال: "أتتني كتاب أُسَرُّ بها ... يريدون: رسالة"، ومثل قولهم: هذه الحرف: نعت يريدون به الكلمة"(٤).
- المذكّر التأويلي: ما كانت صيغته مؤنّثة في أصلها، ولكن اكتسبت التذكير بتأويلها باسم مذكّر، نحو قولك: " (ثلاثة أنفس)، والنّفس مؤنّثة، ولكن تم تأويلها بالشخص"(٥) وهو مذكّر.

---

* استعرتُ مُصطلَحيْ "المذكّر الحكمي" و "التأويلي" من: عباس حسن: النحو الوافي، ٥٨٩/٤.

(١) سورة ق: ٢١.

(٢) الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، ص٣٣٢.

(٣) البيت بلا نسبة في مُغْني اللبيب لابن هشام ٥١٢/٢، وفي الأشباه والنظائر للسيوطي ٢٦٣/٥، وفي خزانة الأدب للبغدادي، ٢٢٧/٤، ١٠٦/٥.

(٤) ابن جني: الخصائص، ٤١٨/٢.

(٥) الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، ص٣٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنظار العلماء في تصنيف الجنس:

لم يقتصر الاهتمام بمسالة التذكير والتأنيث على حقْبة دون أخـــرى، بـــل ظـــل الجـــهد موصولا قديماً وحديثا، فبذل السابقون الوُسْع كله لمدارستها، وتبعـــهم جيـــل مـــن المستشـــرقين والمحدثين العرب؛ رغبة في استجلاء مسالة الجنس في اللغة، والوقوف إلى كنهها.

إنَّ هذه الإلماعات التى ظفرتْ بها مسألة الجنس، أسهمت في تنـــوع الـــرؤى، وتفســـير بعض ما اعتورها. وقد اكتست هذه المقاربات بمُسْحَة دينية وغيبية، وانتحـــى بعضـــها وجهـــة أسطورية وذهنية مجردة.

وأحسب أنَّ عرض بعض ما قيل في المسألة يُجلّي بيناتها.

- رأي (A. Guny, M. Feghali)

"تشر هذان العالمان الفرنسيان دراسة حول مسألة الجنس في اللغات الســـامية، اعتمـــدا فيها أفكار ميبه (Meillet) حول تطور الجنس في اللغات الهند أوروبية القائلة: بأنَّ أول تقســـيم للأسماء هو تقسيمها إلى حية وغير حية. ويرى العالمان أنَّ فئة الكلمات التى تعود على الأحيـــاء تنقسم إلى مذكّر ومؤنّث، وأنَّ الفئة العائدة على غير الأحياء أصبح معظمها مؤنثاً، لكن بعضـــها، احتفظ بالتذكير.

ويذهب هذان العالمان إلى أنَّ جميع التطورات هذه حدثت قبل أن تنقســـم الســـامية إلـــى لغات مفردة"[1].

---

(1) Grammatical Gender, by. M.H. Ibrahim, PP. 42-43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- رأي (E.A. Sepeiser)

يقرّر (سبيزر) في مقاله حول دراسات في الأنماط السامية: "أنّ ضمائر الاستفهام محتفظة بالصورة للغات السامية، فضمير الاستفهام للشخص هو ضمير واحد، وذو شكل واحد كذلك للمذكّر والمؤنّث، ففي الضمائر الشخصية لا يوجد تفريق في الجنسين عندما يكون الضمير هو ضمير المتكلم؛ لأنّ جنس المتكلم واضح في جميع الأوقات للمستمعين"(١).

- رأي (Louis. H. Gray)

يذكر "لويس . هـ . جراي" أنه يوجد نوعان فقط من الجنس على امتداد الحِقْبَة الزمنية للغات السامية، وفي أغلب الأحيان فإنّ ذكور الكائنات الحية الفعّالة والأشياء التي يأخذها العقل الفِطري بعين الرعاية مذكّرة، ومن وجهة أخرى فإنّ إناث الكائنات الحية والأشياء التي تَعُدُّها الفِطرة أنثى كذلك الأسماء المجردة وصيغ التحقير..."(٢).

"ويبدو أنّ مُلازمة اللواحق للأنثى إشارة إلى كونه كائناً غير نشيط في ذاته، لا بل غامض وعام، وغير مكتسب أي فعالية. أمّا الاسم المذكّر فيُعدُّ كائناً حياً نشيطاً.

وتوزع "المحايد" طبقاً لهذه النظرة. فما هو سلبي يُلْصق بالكائنات الأنثوية؛ لأنّ السلبية إحدى خصائص الإناث، مقارنة بنشاط الذكر (أي أنّ الأنثى لم يكن يشار إليها بالطريقة التي يشار فيها إلى الذكر بسبب نشاطه ومكانته في المجتمع)"(٣).

---

(1) Studies in Semitic Formatives. by E.A. Sepeiser. P. 33.

(2) An Introduction to Semitic Comparative Linguistes. by Louis. H. Gray. P. 48.

(3) Ibid. PP. 50-51.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- رأي (Albrecht)

يرى الباحث الألماني بالساميات "ألبريخت" "أنَّ التذكير يتم إطلاقه في العبرية، واللغات الأخرى، على كل شيء خَطِر، ومتوحِّش وشجاع، ومحتَرَم، وعظيم وقوي، وذي نفوذ. فيما يُطلَق التأنيث على ما هو أُمومي، وإنتاجي، ومتورِّد، ولطيف، وضعيف"[1].

- رأي (Moscati)

يذكر "موسكاتي" أنَّ تمييز اللغات السامية بين نوعين من الجنس: وهي المذكَّر والمؤنَّث، وأنَّ الذَّكر لا يصحبه مقطع خاص يوضع في نهايته، كما هو الحال في المؤنَّث، إنَّ هذا التمييز يُعزِّز الاحتمال بأنَّ أصل ذلك عائد إلى نظام الطبقات"[2].

- رأي (Wensinck)

يعتقد "فنسنك" "أنَّ اللغات الساميّة حين خلعتْ على بعض الأسماء فكرة التأنيث إنما تأثرت في هذا بعوامل دينية، وبأخرى مَرْجِعها التقاليد والمعتقدات العامة التي جعلت الساميين في قديم الزمان يَرَوْن أنَّ في المرأة غموضاً وسحراً، ويَنْسِبُون لها من القوى الخارقة ما لم يخطر ببال من جاءوا بعدهم، ثم ضمُّوا إلى المرأة كل الظواهر الطبيعية التي خَفِي عليهم تفسيرها"[3].

---

(1) Hebrew Grammar, by E. Kautzsch, Gesenius, P. 391.

(2) An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitc Language, P 84.

(٣) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص١٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُلحظ من آراء المستشرقة أنها تكوكبت حول مفاصل رئيسة هي:

- أنّ الساميين صنفوا المذكر والمؤنث بجامع الفعالية أو السلبية.

- تأثّر الساميون في تصنيفهم للجنس بنظام الطبقات.

- كان للسحر والعوامل الدينية تأثير في توزيع الجنس على الكائنات.

- ارتبط التصنيف عند الساميين بالخيال الفعال والنشيط.

أحسب أنّ المستشرقين قد صدروا في طروحاتهم هذه عمّا أجروه من دراسات (الإناسة) للشعوب البدائية واللغات البائدة، فبعض الرؤى اتكأت على الدراسات التي أُجريتْ على اللغات الهندأوروبية، ومن ثم أُسقطتْ هذه النتائج على اللغات السامية مظنّة العمق والمشاكلة، بيْد أنّ مسيرة الإنسان في الأحقاب السالفة لم تتطابق لدى جميع الأمم، بل افترقت في نواحٍ تبعا لعوامل الزمان والمكان، وهذا ما تقرّره دراسات الإناسة.

يرى (ألبريخت) أنّ الساميين أطلقوا التذكير على كل شيء خطر ومتوحش ... والتأنيث على كل شيء أمومي، وإنتاجي، وضعيف ...

يبدو الرأي طريفا للخاطر الأول، ولكنه لا يطرّد، فهناك كلمات كثيرة تدل على الوحشية والقوة والخطورة ارتبطت بالمؤنث، كالحرب، والصحراء والسلاح.

أمّا من أحال التقسيم عند الساميين على أساس الطبقات وأقل القيمة، فإنّ مزيداً من لُطْف النظر في حفريات المعرفة (أركيولوجيا المعرفة) لدى الساميين عامة وللعرب خاصة يقفنا إلى أنّ هذه الأقوام قد مرّت بالمرحلة الأمومية (المتريركية)، إذ طغت الأنثى على عبادة الذكر، فهي التي اكتشفت الزراعة في العصور الحجرية الوسيطة، وهي التي كانت تنهض بأعبائها في بادئ الأمر؛ كونها أكثر التصاقاً بالأرض من الرجل الذي كان يسعى وراء الطرائد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتمدُنا البيّنات الأثرية في المشرق العربي بأدلة على مركز الأم في هـــذه المجتمعـات، وكيف أنّ الإله الذَّكَر ظل خاضعاً للألهة الكبرى، "لأنّ مفهوم الأبُوّة كان ما يزال غامضـاً مـع غموض الرجل في عملية التلقيح ..."(١).

فكيف ارتبطت –كما رأى بعض المستشرقين– المرأة ولواحق التأنيث بأقل القيمة، وقـد انتسب عرب ما قبل الإسلام إلى قبائل سُمّيَتْ بأسماء مؤنثة؟. بلْهَ إنّ كثيراً مـن ألهتـهم كـانت مؤنثة كاللاّت، والعُزّى، ومنَاة.

لم تنفرد الأنثى باللواحق، بل التصقت بكثير من المفردات التي أدّت دلالة المذكر نحـو: "رجل أُمَنَة (يأمن الناس). وضُحَكَة (يضحك من الناس) وهُزَأة، وهُذَرَة، ولُوَمَة ... "(٢).

أحال بعض المستشرقين التصنيف إلى السحر والغموض اللذين يكتنفان المـرأة، فَخَلَـع على كل غامض وخَفِيّ صيغة التأنيث، فأيّ غموض يَعْتَوِر الأرض التي نتعاطاها صباح مسـاء، فالقَنَاها والفتَنَا؟.

ولماذا لم يطلق الساميون – تأسّـياً بهذه الوجهة – التأنيث علـى البحـر، والإعصـار والجبال، والرعد، والبرق؟.

لعل هذا الانشعاب في تفسير الظاهرة صادر عن عدم التناظم بيـن الجنـس الطبيعـي والجنس النحوي، واقتصار اللغات السامية على صنفين رئيسين لتصنيف الجنس.

أشرتُ في البدء أنّ مسألة الجنس حظيت بأنظار عديدة قديماً وحديثاً، وقد أومـأتُ إلـى جهود السابقين والمستشرقين، ولعل عَرْضاً لبعض جهود المحدثين العرب يُحقّق ما نـهجس بـه "بأنّ مسألة الجنس قد حظيت باهتمام ورعاية من الدارسين عَبْر تراسل الدهور".

---

(١) ينظر: علي الشوك: جولة في أقاليم اللغة والأسطورة، ص٨–ص١٥.
- The Sacred Mushroom and the Cross, by John Allegro, P.24.

(٢) ينظر: ابن الأنباري: المذكّر والمؤنّث، ص٥٦٧–٥٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- رأي إبراهيم أنيس:

يتلخّص رأي إبراهيم أنيس في "أنّ ظاهرة التأنيث والتذكير تتجه نحو الصلة العقلية بين الأسماء ومدلولاتها. فالأسماء المجازية في العربية تميل في تطورها إلى الاستقرار، مثل: الطريق، والعسل، والروح، والخمر.

ويؤيّد ذلك اللغات السامية، إذ إنّ بعض الكلمات كانت في الأصل مؤنثة ثم أصبحت مجازية التذكير والتأنيث، كالشمس في العبرية والآرامية [1].

ذهب إبراهيم أنيس إلى أنّ التطور في ظاهرة التأنيث يتجه نحو الصلة العقلية المنطقية، فأين المنطق حينما تتباين اللغات داخل الأسرة الواحدة – كاللغات السامية– حول العديد من المسميات؟ فالقمر في العربية مُذكّر، وفي العبرية مؤنّث،والحرْبة مؤنثة في العربية، مذكّرة في السريانية، والبقر في العبرية يذكّر ويؤنّث أما العربية فتذكّرها، والسريانية تؤنّثها.

ما ذكره إبراهيم أنيس أنّ استقرار الحال على التذكير، لا يُؤْخَذ على إطلاقه، فإذا كانت الخَمْر، والطريق، والسكين ... وغيرها من الألفاظ يجوز فيها التذكير والتأنيث، فإنّ العامة تستعملها استعمالاً أخر، فتقول: هذه خَمْرَة لذيذة، وطريق وَعْرة، وسكّينَة حادّة.

- رأي عصام نور الدين:

قدّم عصام نور الدين عدداً من المصنفات عُنِيَتْ بمسألة الجنس في العربية، نحو: "مميزات التذكير والتأنيث"، و"مصطلح التذكير والتأنيث"، و"مصطلح المحايد" ... يذكر عصام نور الدين في أثناء حديثه عن "المحايد":

---

(١) ينظر: إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص١٤٦ – ص ١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"العاتق: يذكّر ابن جني الوجهين، ولكنه يقدّم التذكير بقوله العاتق يُذكّر ويؤنّث، ومع ذلك فأنا أذهب إلى أنّ التذكير هو الأصل، أما التأنيث فدفْعُ بعضهم إلى القول به انحرافٌ لغويٌ قاله أحد الفصحاء، أو أنّ بعضهم ادّعاه ليسوّغ زلة لسان، أو خطأ وقع فيه، فالوجه أن يُستَعمل التذكير، ويُهْمل التأنيث.

أما التأنيث فلا يعدو كونه لُغيّة، أو انحرافاً لغوياً لا يُعتدُّ به، حتى لو كان صحيحاً فيجب عدم الوقوف عنده لمخالفته روح اللغة واتجاهها التطوري.

والقفا يذكّر ويؤنّث: لكن قارىء المادة في نصوص اللغويين، يرى أنّ التذكير هو الأصل، وأنّ التأنيث هو لُهيْجة وإن شئت هو انحراف لغوي لقبيلة لا يُعتدّ بكلامها...

يخلُص الباحث إلى القول: فمذهب اللغة التطوري كما نفترضه يذهب إلى التذكير، ولا يعتَدُّ بالتأنيث الذي إنْ وجد فلا يعدو كونه انحرافاً لغوياً لا تبنى عليه قاعدة ... عدا ما قد يوقع باللغة من الغموض والاضطراب في حال الأخذ به ... "[1].

يصدر عصام نور الدين في وجهته عن مقولة تقرّر أصالة التذكير للمحايد (المجازي من المذكر والمؤنث)، وأنّ التأنيث شذوذ عن القاعدة.

لو صح ما انتحاه الباحث، فلِمَ عنّى السابقون واللاحقون أنفسهم في البحث والتنقير للخلوص بضابط جامع، أو معيار مطّرد للمجازي من المذكر والمؤنث (المحايد)؟

أظن أنّ حسم ما أشْكَل من ظواهر يقتضي تَرَوِّياً وأناة، فكيف يعتدُّ عصام نور الدين التأنيث انحرافاً لغوياً، أو هو لُغيّة، وقد جاء على لسان قبيلة "عُكل"؟ وهي من القبائل الفصيحة التي يُستشْهد بكلامها في الدرس اللغوي.

---

(١) عصام نور الدين: "المحايد" أو المذكّر والمؤنّث من غير الحيوان، مجلة دراسات عربية، ع (٧-٨) ١٩٨٨م، ص٣٢-ص٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما ذكره الباحث باستقرار المحايد على التذكير، ومثّل علـــى ذلـــك بالعـــاتق والقفـــا، لا يتطابق والواقع اللغوي.

ذكر الأصمعي: "القفا مؤنثة، ولا يذكّرها أحد"[1].

ومن العلماء من أجاز التذكير والتأنيث، ولم يُرجّح وجهاً دون آخر.

لقد قمتُ بإحصاء للمذكر والمؤنث المجازيين في كتب التذكير والتأنيث، وانتـــهيتُ إلـــى عددٍ من الإشارات:

- ما يذكّر من أعضاء الإنسان	٤٩مفردة.
- ما يؤنّث من أعضاء الإنسان	٥٦ مفردة.
- ما يذكّر ويؤنّث من أعضاء الإنسان	١٩ مفردة
- ما يذكّر من سائر الأشياء	٥٨ مفردة
- ما يؤنّث من سائر الأشياء	١٠٨ مفردة
- ما يؤنّث ويذكّر من سائر الأشياء	٩١ مفردة

فهل بمُكْنَتِنَا ردّ ١٦٤ مفردة مؤنثة، وعدّها انحرافاً لغوياً على الرغم من أنّها سُمعتْ مـــن عرب فصحاء؟

فالرغبة في التيسير غاية تُرتَجى، بَيْدَ أنها مُعْجِزَة المؤونة ما لم تتسق والواقع اللغـــوي. فمنهج اللغة التطوري ينطلق من روح اللغة وواقعها، ويناى عن الانطباع المُجرَّد.

---

(١) السجستاني: المذكّر والمؤنّث، ص١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجنس الطبيعي والجنس النحوي:

قسّمت العربية الجنس إلى مذكّر ومؤنّث، وما لم يَنتظم في المذكّر والمؤنث الحقيقيين وزّع كذلك على المذكَّر والمؤنّث.

وأفضت هذه الطريقة إلى فوضى واضطراب؛ لأنّ التذكير والتأنيث من خصائص الأحياء، فإنْ أُطلق على غير ذلك فعلى سبيل المجاز، ذكر "ابن رُشْد":

"التذكير والتأنيث في المعاني إنما يوجد في الحيوان، ثم قد يُتجوَّز في ذلك في بعض الألسنة،فيعبّر عن بعض الموجودات بالألفاظ التي أشكالها أشكال مؤنَّثة، وعن بعضها بالتي أشكالها أشكال مذكَّرة. وفي بعض الألسنة ليس يُلفى فيه للمذكَّر والمؤنَّث شكل خاص، كمثل ما حكي أنه يوجد في لسان الفُرس، وهذا يوجد في الأسماء والحروف، وقد يوجد في بعض الألسنة أسماء هي وسط بين المذكّر والمؤنّث، على ما حكي أنه يوجد كذلك في اليونانية"(١).

إنّ اقتصار اللغة على جنسين وحسب قد أعقب إشكالاً خالط هذه المسألة، لذا تباينت آراء الدارسين حول هذا الضَّرْب من الأسماء، فمنهم من قال بتذكير لفظة ما، ومنهم من مال إلى تأنيثها، وبعضهم أجاز الوجهين، وكل فريق يستند فيما ذهب إليه على ما رُوِي عن العرب.

- فالأضحى: تذكّره قيس عيْلان. وتؤنّثه تميم. قال الفرّاء: "اجتمع عندي أعرابيان مُسنَّان قيسي وتميمي، وقد جاوز كل منهما التسعين فسألتهما عن الأضحى، فقال التميمي: دنَت الأضحى. وقال القيسي: دنا الأضحى"(٢).

- الثمر: تميم تقول هو الثمر فتذكّر، وأهل الحجاز يقولون هي الثمر فتؤنّث.

---

(١) ابن رشد: تلخيص الخَطَابة، ص٢٧٥.

(٢) ابن السيد البطليوسي: الحُلل في إصلاح الخلل، ٤٣/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- السُّوق: جاء في الصحاح: "قال الأخفش: أهل الحجاز يؤنِّثون الطريق والسراط، والسبيل، والسُّوق، والزقاق، والكلاّء – وهو سوق البصرة – وبنو تميم يذكِّرون هذا كله"(١).

- الشعير: يذكّره أهل نَجْد، ويؤنّثه غيرهم"(٢).

العنق: تميم وربيعة يقولون: هو العُنْق بضم العين وإسكان النون، وأهل الحجاز يقولون: هي العُنُق بضم العين والنون، وبنو أسد يقولون: هو العُنُق بضم العين والنون ويذكِّرون"(٣).

أرى أنَّ انتفاء صفة الذكورة والأنوثة الحقيقيتين عن هذه الألفاظ وغيرها أفضى إلى حالة من التشرذم والتشظي، وقد صرَّح بذلك الفرَّاء "العرب تجترئ على تذكير المؤنَّث، إذا لم تكن فيه الهاء"(٤).

لم يكن التباين اللَّهْجِي في تصنيف الجنس وقفاً على العربية، بل نلْحظ هذه الظاهرة في اللغات السامية. فما العِلَّة التي جعلت الشمس مؤنَّثة، والقمر مُذكَّراً كما في العربية؟* على الرغم من تأنيث العبرية للشمس تارة وتذكيرها تارة أخرى sémeš ، أما القمر في العبرية فمؤنَّث .libana

(١) الجوهري: الصحاح مادة "زقق".

(٢) ابن التُسْتُري: المذكّر والمؤنّث، ص٨٦.

(٣) الفرّاء: المذكّر والمؤنَّث، ص٧٣.

(٤) المصدر السابق، ص٨١.

* أورد أبو حيان التوحيدي سؤالاً حول عِلَّة تأنيث العرب للشمس وتذكيرهم للقمر،واتفاق المنجمين على عكس ذلك وهو تذكير الشمس وتأنيث القمر، فأجابه مسكويه بقوله: "أما النحويون فلا يعلّلون هذه الأمور، ويذكرون أن الشيء المذكّر بالحقيقة ربما أنثه العرب والمؤنث بالحقيقة ربما ذكرته العرب، لمن ذلك أن الآلة من المرأة بعينها التي هي سبب تأنيث كل ما يؤنث هي مذكّر عند العرب، وأما آلة الرجل فلها أسماء مؤنّثة، ولكن الشمس التي قصد السائل قصدها بعينها، فإني أظن السبب في تأنيث العرب إياها أنهم كانوا يعتقدون في الكواكب الشريفة أنها بنات الله – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – وكل ما كان منها أشرف عندهم عبدوه. وقد سَمَّوْا الشمس خاصة باسم الآلهة، فإن اللات اسم من أسمائها فيجوز أن يكونوا أنثوها لهذا الاسم، ولاعتقادهم أنها بنت من البنات، بل هي أعظمهن عندهم". الهوامل والشوامل – ص٢٦٦-٢٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشمس في الأكادية مذكّرة šamša، وكذلك في الآرامية.

والبطن في العربية مُذكّر، وفي العبرية مؤنّث béten.

والكبد في العربية مؤنّث، وكذلك في السريانية Kabdā، لكنّه في العبرية مُذكّر kābēd"[1].

إنّ هذا التباين بين الأسَرَة اللغوية الواحدة، أسهم في ورود ألفاظ في هذه اللغات تُؤنّث وتُذكّر في الآن ذاته.

ففي العربية فَيض من الألفاظ تذكّر وتؤنّث نحو:

- الأنعام: قال يونس والأخفش، وأبو بكر بن الأنباري[2]، وأبو البركات الأنباري[3] إنّ الأنعام تذكّر وتؤنّث.

- الجحيم: هو النار المتلظّية ، قالوا: الجحيم: يذكّر ويؤنّث[4] .

- السبيل: يذكّر ويؤنّث[5].

- السلطان: يذكّر ويؤنّث[6].

- الصراط: أهل الحجاز يؤنثون الصراط، وبنو تميم يذكّرونها"[7].

وفي العبرية ألفاظ تذكّر وتؤنّث[8]، منها:

---

(١) ينظر: مجموعة من المؤلفين: نحو اللغات السامية، ترجمة:مهدي المخزومي وعبد الجبار المطلبي، ص١٤٥ - ص١٤٨.

(٢) المذكّر والمؤنّث: ص ٣٤٦.

(٣) البُلغة في الفرق بين المذكّر والمؤنّث، ص٦٨.

(٤) أبو بكر بن الأنباري: المذكّر والمؤنّث، ص٣٧١.

(٥) المفضل بن سلمة: مختصر المذكّر والمؤنّث، ص٥٦.

(٦) ابن سيده: المخصّص، ١٧/ ص١٥.

(٧) الأخفش: معاني القرآن ١/ ص ١٧.

(8) See: An Introdution to Semitic Comparative Linguistcs, by Gray, PP 48-52.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

rūwaḥ	روح وريح
déreḥ	طريق
ʿēṣem	عظم
ʾofannāyim	دراجة
riḥōḇ	شارع
maḥaneh	جيش
šiʾōl	جهنم، ضريح

ونجد هذه الظاهرة في الأرامية[١]، نحو:

ʾār	هواء
ḥerbā	سيف، حربة
ochrā	قمر
ruḥā	روح
semiā	سماء

وتشارك السريانية غيرها من اللغات السامية في هذه الظاهرة[٢]، مثل"

rûḥā	الروح
šimšā	الشمس
ḳištā	القوس

(١) ينظر: يعقوب أوجين منا: الأصول الجلية في نحو اللغة الأرامية، ص١٤-١٥.

(٢) ينظر: إسماعيل عمايرة: ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية، ص٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السماء	smayā
الجمل	gamlā

لعل ما رشح من هذه الإلماعات يفضي إلى أنّ اللغة لا تسير وفق منطق عقلي في تعاملها مع الجنس المجازي، فليس ثمة قرينة بين الجنس الطبيعي والجنس النحوي، مما دعا إلى جمع هذه الألفاظ – التي لا تنتظمها قاعدة– في رسائل ومختصرات حتى تؤخذ رواية وسماعاً؛ لأنّ الإلمام بهذه الألفاظ عُدّة اللافظ وشرط من شروط الفصاحة، وهو من تمام معرفة النحو والإعراب. ذكر أبو بكر بن الأنباري:

"إنّ من تمام معرفة النحو والأعراب معرفة المذكر والمؤنث لأنّ من ذكّر مؤنثاً أو أنّث مذكّرا كان العيب لازماً له كلزومه من نصب مرفوعاً أو خفض منصوباً أو نصب مخفوضاً..."(١).

لقد أشكلت الألفاظ المجازية في مسألة الجنس على الدارسين؛ لغياب الصلة المادية بينها وبين الجنس النحوي، مما دفع المستشرق "وليم رايت" إلى إفراد صنف ثالث يضم المحايد من الألفاظ، فهو يقسّم الجنس فى العربية إلى ثلاثة أقسام: مذكّر ومؤنّث، وأسماء تذكّر وتؤنّث وهو ما يُدعى بالمشترك الجنسي، وفي اللغات السامية أسماء يطلق عليها المحايد"(٢).

ما هجس به "وليم رايت" يعضُد المقولة الآنفة أنّ الجنس النحوي لا يصلح ولا يدل دلالة طبيعية أو عقلية على الجنس الطبيعي.

فلا طائل من الإيغال في بحث ماهية التذكير والتأنيث المجازيين؛ لغياب القرائن الموصلة إلى الحقائق. وكان يتعيّن أن يُفرد لهذا النوع من الألفاظ قسم خاص يسمى بالمحايد، ينتظم المذكّر والمؤنّث المجازيين؛ رفعاً للّبس، وأدعى للتقعيد.

---

(١) المذكر والمؤنث: ص٨٧.

(2) The grammar of the Arabic Language, by. W. Wright, P. 1/177.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

الثقافة، اللغة، التحيّز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثقافة، اللغة، التحيز:

شغلت الثنائيات الوجودية قِسْطاً وفيراً من النظر والدرس، فأولاها الإنسان منذ البدء عنايته تحت مسميات عديدة وأشكال متنوعة، منها الأسطوري والفلسفي، ومنها الاجتماعي. فصار يستبطن عوالمها لاكتناه هذه المعادلة المتكاملة تارة، والمتباينة تارة أخرى.

وربما كانت ثنائية الذكر/والأنثى من أكثر القضايا إلحاحا في التفكير والمثاقفة، وستظل تملأ الدنيا وتشغل الناس ما بقي التنافس؛ لانطوائها على تداعيات ماضوية، فقد رافقت وجود الإنسان، وأخذت بالتنامي والتشابك لالتباس مفرداتها، وتباين الشريكين في رؤية كل منهما للأخر، وطبيعة الدور المنوط بهما في صياغة الحياة.

لأجل ذلك برزت قضية "التحيز الجنسي"، وتراحبت الدراسات النِّسْوِيَّة في سياق تخصصات معرفية متنوعة؛ لتعديل المنطلقات السائدة والأفكار المُسْتَكِنَّة عن الذُكورة والأُنوثة. وتكمن أهمية المراجعة في أنها لا تَسْتَقْرِىء قضية نصف المجتمع، وإنما قضية المجتمع كله منظورا إليها من زاوية الصياغة الثقافية لمفهوم الجنسين والعلاقة بينهما.

لم تقتصر هذه المدارَسات على علم دون آخر، بل انبرت علوم عديدة لبحث هذه الإشكالية، "فعاينها علماء اللغة، والاجتماع والإناسة، وانضم إليهم علماء النفس والتربية، والأسلوبية والنقد الأدبي، ولعل ما أذكى هذه القضية هو نهوض حركات نسوية تسعى إلى إقامة المساواة بين الجنسين"[1]، وتسليط الضَّوْء على الحَيْف الذي أعقبته الدهور تجاه المرأة.

---

(١) ينظر: أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصاحب الاهتمام بتحرير المرأة العناية بلغتها ورصد الفروق اللغوية بين الجنسين، والوقوف إلى معالم الجُنوسة * بوصفها عاملاً تحليلياً يكشف الفرضيات المتحيّزة في فكر الثقافة عموماً والغربية خصوصاً.

رأت الحركات النَسوِيَة أنّ التحيُّز للذكورة مكّن الرجال من السيطرة على الأعمال المهمة والوظائف المتحكمة، ومحاولة إقصاء المرأة عن المنافسة، مما حرمها من فرصة الظهور العام، ومنعها من الحضور في عالم الشهود لتشكيل الواقع، فظلّت ثاوية على حوافّ الذاكرة، فإنْ همّت بالتفكير فعقلها خَداج، وإنْ طمحتْ فإنجازها منزوع القيمة والأهمية، وإنْ تحدثت فكلامها ثرثرة ولغو.

إنّ هذا الترسيم لأدوار الذكر والأنثى ليس من تبعة الحاضر، بل هو وليد الفكر الإنساني عبْر ركامه المعرفي، فقد أطبقت المجتمعات على تفضيل الذكر على الأنثى، واصطبغت بهذا الاعتقاد الأنظارُ الفكرية، ولا سيَّما التصنيفات اللغوية، فقسّمت الجنس إلى مذكّر ومؤنّث، واتخذت من الذّكر أصلاً للمؤنّث.

ويُستَشَفّ من هذا التقسيم خفايا تتجاوز حدود اللغة، لتمتد في سندها إلى بدْء التكوين وباكورة الخلق. "فالأصالة والفرعية" التي اتكأت عليها الأجيال للتعاطي مع الجنسين ليست منفصلة عن قصة خلق آدم، واشتقاق حوّاء من ضلعه، فهذه القصة وما أُسبغ عليها من

---

* الجُنوسة: يعود المفهوم في أصله إلى مصطلح لغوي ألسني يشير إلى تقسيم ضمني في النحو القواعدي اللغوي، إذ هو في اللغات الغربية السائدة اليوم مشتق من المفردة اللاتينية التي تعني النوع أو الأصل (genus) ثم تحدّر سلاليا عبر اللغة الفرنسية في مفردة (gender) التي تعني أيضا النوع أو الجنس: وتمحورت حوله – بعد ذلك – الدراسات النسوية في المجالات كافة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية واللغوية والدينية ... ، ولعل المحرك الأساسي لمثل هذه الدراسات الدعوة التحررية التي تبنتها الحركات النَسوِيَة في تركيزها على مفهوم الجُنوسة؛ لكشف الفرضيات المتحيّزة المسبّقة في فكر الثقافة عموما والغربية خصوصاً. ينظر: ميجان الرويلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص٨٣-ص٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحويرات أسطورية وتوراتية تُعتَدّ المرجع المؤسّس لأدوار الجنسين في الحياة منذ طفولة البشرية حتى عصر الانفجار المعرفي.

لذا أرى أنّ في استدعاء هذه القصة تجلية لماهيّة العلاقة بين الذّكر والأنثى. تذكُر التوراة: " أنّ الربَّ الإله جبل آدم من تراب الأرض، ونفخ فيه نسمة حية، فأخذه ووضعه في جنة عدن"(١).

"وقال الربُّ الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحدَه، فأصنعُ له مُعيناً نظيره، فأوقع الربُّ الإله سُباتاً على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه، وملأ مكانها لحماً، وبنى الربُّ الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي، هذه تُدعى حوّاء امرأة؛ لأنّها من امرئ أخذت"(٢).

"وكان الربُّ الإله منح آدم وحواء أن يأكلا من شجر الجنة فاكهتها، وألّا يقربا من شجرة معينة، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية، فقال لحوّاء على لسان الحيّة: ألم يحظر عليكما الله أكل الفاكهة؟ أجابتها حوّاء: كلا، بل نصحنا بالابتعاد عن شجرة معينة في وسط الجنة، وإلا كانت عاقبتنا الموت، قالت الحيّة/الشيطان: إذن فقد خذلكما الله؛ لأنّ ثمرها لا يُسبّب الموت بل يورث الحكمة، إنه يريد أن يبقيكما في جهل مُطْبِق، واقتنعتْ حوّاء بأكل الفاكهة، ومارست الإغراء الجنسي لإقناع آدم بأكل الفاكهة"(٣).

ونُتابع الرواية التوراتية صياغتها لخروج آدم وحوّاء من الجنة:

"فبعد أن تناول آدم وحواء من ثمرة المعرفة نظر كل منهما إلى الآخر، فأدركا في الحال

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٢/١٦.

(٢) المصدر نفسه، الإصحاح ٢/ ١٦-٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ٣/١-٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنهما عريانان، عند ذلك قطفا أوراق الجنة ليصنعا منه لباساً لهما، فنادى الربُّ الإلـه يـا آدم، أين أنت؟ قال آدم: أنا هنا يا رب، قال ألا تخرج؟ قال أستحي منك يا رب، فسأله الـرب ومـن أخبرك أنك عريان. هل أكلت من ثمر الشجرة المحرَّمة؟ فقال آدم: أعطتني حوّاء من ثمر الجنـة فأكلت، فقال الرب الإله:

يا حوّاء أنت غرَّرتِ عبدي، فإنكِ لا تحمليه حملاً إلا كُرْهاً، فإذا أردتِ أن تضعي ما فـي بطنكِ أشرفتِ على الموت مراراً، تلدين أولاداً، وإلى رَجُلِكِ يكون اشتياقك، وهو يسود عليك.

وقال لآدم: لأنكَ سمعتَ أقوال امرأتك، وأكلتَ من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منـها: ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحَسَكاً تنبت لك، وتأكل عشـب الحقل، حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها؛ لأنك تراب، وإلى تراب تعود ... "(١).

إنّ مقاربة جّوانيّة لقصة التكوين –حسب الصياغة التوراتية– تقفنـا إلـى جملـة مـن الإلماعات تتمثل في:أنّ الأسطورة التوراتية تحمل تعليلاً لجملة من الطبـاع المُلازمـة للمـرأة، فهي معادل موضوعي للمكر، والدهاء، والخطيئة، وهي التي أوقعت الرجل الـبريء بحبائلـها، فمارست إغواءها الجنسي لتحقيق مآربها. ويبرز الجنس سلاحاً مُلحقاً بالمرأة، لا منـاص عنـه لكسب معاركها.

– خروج آدم من الجنة – حسب الصياغة التوراتية – سببه المرأة، لذا حُمِّلـت خطيئـة البشرية، فلولا حوّاء لم تَخُن أنثى زوجها الدهر كله.

– اقترنت المرأة بالحيَّة، وهي دلالة رمزية بين حوّاء التي اشتُقَّت من حيّ، والحيّة رمـز الخُبْث والدهاء، فكلتا اللفظتين تنضوي تحت جذر واحد "حيّ".

---

(١) سفر التكوين: ٣/٢٠-٢١، وينظر أيضاً: الطبري: جامع البيان في أحكام القرآن ١/٣٣٥-٣٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ثمة مَلْحَظ تومي إليه الصياغة التوراتية هو تقسيم الأدوار بين الجنسين، فالرجل كما قرَّر – إله التوراة- هو سيد المرأة ومالها، والمرأة موقوفة على الإنجاب وتَحَمُّل المَشاق؛ تكفيراً عن الخطيئة التي أقدمت عليها، فلولا حوّاء ما حاضت امرأة، ولا اقترفت أنثى فاحشة.

إنَّ المرأة – وَفْقَ الأسطورة التوراتية- هي قرين الشيطان، وسلاحه الأمضى؛ لذا رَشَح في المِخيال الشعبي أنَّ النساء حبائل الشيطان، وما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من النساء.

-وما يُسْتَشْعر من الصياغة الأسطورية هو قسوة الإله، فهو لا يَقْصُر عقابه على آدم وحوّاء، بل يَحِل العقوبة على ذراريهما من بعد، فضرب اللعنة على المرأة أينما حلت؛ لأنها سبب شقاء الإنسان.

ولعل هذه الأسطورة أفضت بالقديس (ترتولين) إلى القول:

"يستمر إلى اليوم توبيخ الله لَكُنَّ ولجنسكُنَّ عامة، لذا يجب أن يبقى في نَسْلكنَّ الشر والحقد. أنتنَّ أيتها النساء مدخل للشيطان، اللاتي قطفتن من ثمار الشجرة الممنوعة، أنتنَّ حطمتنَّ القانون الرباني، أنتنَّ اللاتي خدعتنَّ آدم: وذلك قبل أن يبدأ الشيطان حملاته، أنتنَّ اللاتي أضعتنَّ أسماء الله بسهولة كاملة. إنَّ شقاء الموت يرجع لعملكنَّ القبيح، وحتى موت ابن الله يرجع لعملكنَّ الشنيع"(١).

أسهمت الأسطورة التوراتية في صياغة الرؤى حول الرجل والمرأة فيما بعد، وكأنها ناموس رباني راتب، وهذا ما نلمحه في الأدبيات الدينية والشعبية، ففي رسالة بولص لأهل كورنثوس مُسْحَة توراتية عن العلاقة بين الجنسين، يقول بولص:

---

(١) أمل التميمي: المرأة في ظلال الأديان، مجلة تايكي، منشورات أمانة عمان الكبرى، ع٦، صيف ٢٠٠١، ص٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الرّجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرّجل، الرّجل لم يُخلَق من أجل المرأة،بل المرأة من أجل الرجل"(١).

وفي الرسالة نفسها يذكر: لتصمت نساؤكم في الكنائس؛ لأنّه ليس مأذوناً لهن أنْ يتكلّمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً.

"أيتها النساء اخضعن لرجالكنّ كما للرب؛ لأنّ الرّجُل هو رأس المرأة كما هو المسيح أيضاً رأس الكنيسة"(٢).

هكذا حُدّدت العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من السيطرة والتبعية، فالرجل رأس المرأة، لأنه الأقدر على التمييز والتدبير، أما المرأة فينحصر دورها في الإشباع الجنسي، وترتيب شؤون المؤسسة لاستمرارية النوع، فكذا نداء الطبيعة يقرّر، عليها أن تخضع وتصمت، لأنّ الكلام شرط ذكوري، ليس للمرأة أن تخترقه، فهذا الدور -حسب تلك الأسطورة- مرغوب من السماء، منّسق والطبع كما قرّر (أرسطو):

"الطبع هو الذي عيّن المركز الخاص للمرأة والعبدْ".

لعل هذه المقولة أخطر من سابقتها، إذ تقول الأديان – ما خلا الإسلام-: إنّ الرب هو الذي حدّد المركز للمرأة، فالرب مقولة اعتقادية، أما الطبع فمقولة جوهرية، فجعْل المركز المتدني للمرأة من عمل الطبع يؤثّر في التفكير الفلسفي أكثر من المقولة اللاهوتية "(٣)..

على الرغم مما أشاعته الأسطورة التوراتية من ظلال على التراث المسيحي، إلا أنّ القرآن ساق القصة بصياغة مباينة لما جاء في التوراة، فالقرآن لم يُلقِ باللائمة على المرأة، بل كان محايداً في خطابه: (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه

---

(١) الكتاب المقدس ١١/٨-٩.

(٢) المصدر نفسه ٥/٢٢-٣٣.

(٣) ينظر: هادي العلوي: فصول في المرأة، ص٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) [1].

وفي سورة طه (فقلنا يا آدم إنّ هذا عدو لك ولزوجك، فلا يخرجنّكما من الجنة فتشقى، إنّ لك ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمؤ فيها ولا تضحى، فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . .) [2].

قصة خروج آدم في القرآن لم تُحمّل المرأة مسؤولية الخروج من الجنة بل كان الخطاب بصيغة المثنى: فأزلّهما ، فأخرجهما، خلافاً لم جاءت به التوراة.

القصة في القرآن لم تُسمّ امرأة آدم، وهذا الأمر دفع الباحثين للتساؤل "إنه أمر يدعو إلى العجب، خاصة وهي أم البشرية، وأول امرأة في هذه الحياة، ثم هي التي ساعدت آدم على الخروج من الجنة، حين أغوته بالأكل من ثمر الجنة -كما تقول التوراة- لعل القرآن عدل عن ذكر اسم حوّاء لتأثير "سلطان البيئة"، إذ إنّ التقاليد العربية لم تكن تستسيغ ذكر اسم المرأة من ناحية، ولأنّ القرآن يصوّر حوّاء تابعة لآدم في كل شيء"[3].

توزّعت القصة في القرآن على آيات متعددة، فلا نقرؤها باعتبارها نصاً متصلاً، بل إضاءات مُجزّأة تخلو من تفصيلات خلق آدم وحوّاء، وخروجهما من الجنة. إلاّ أنّ المفسرين المسلمين نقلوا هذه التفصيلات عن التوراة، فشاع في تفاسيرهم إيحاءات أسطورية رسّخت في المخّيال الشعبي حقائق مطلقة عن الرجل والمرأة: فهي مشتقة من ضلع أعوج، وهي قرين الشيطان، ومكمن الخطيئة والرذيلة، سلاحها الإغراء، وطبعها المكر والدهاء... "[4].

(١) سورة البقرة: ٣٤-٣٥.

(٢) سورة طه: ١١٤-١١٩.

(٣) محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن الكريم، ص٣١٧.

(٤) ينظر: الطبري: جامع البيان في أحكام القرآن ٢٢٩/١-٢٣٠، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٧، م٤، ص٢٣٨، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ١٩/١-٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعل هذا الاسترسال في مقاربة قصة الخَلْق في العهد القديم ينطوي على فكرة مؤدّاهـــا: أنّ هذا الخطاب المُنْتَج حول الرجل والمرأة قد ترك رواسمه في تمثُّـــلات الحيـــاة المختلفـــة، فرسب في الذاكرة تفوق الرجل وحضوره، وتراجع المرأة عن الفعـــل والشـــهود، ممـــا جعـــل الخطاب يتحدث عـــن مطلق المرأة/الأنثى، ويضعها في علاقة مقارنـــة مـــع مطلـــق الرجـــل/ الذكر. "وحين تُحدَّد علاقة ما بأنها بين طرفين متقابلين أو متعارضين، يتعين ضرورة خضـــوع أحدهما للآخر، واستسلامه له ودخوله طائعاً منطقة نفوذه، فإنّ من شأن الطرف الـــذي يتصـــور نفسه مهيمناً أن ينتج خطاباً عنصرياً بكل معاني الألفاظ ودلالاتها"[١].

واللغة في هذه المعادلة ليست مُنْبَتّة عن الثقافة، بل هي تعبير عنها، وجزء متخلّـــق فـــي تربتها، فهي وسيط متغير، وتغيرها يعتمد على تغيير السياق التاريخي والاجتماعي لاستعمالاتها. "فتغيُّر مدلول كلمة (Mistress) في الإنجليزية من حاكمة أو سيدة الأسرة في القرنيـــن الرابـــع عشر والخامس عشر الميلاديين إلى عشيقة أو خليلة في القرن السادس عشر، فاستعملت كلمـــة (Housewife) لتدل على ربة المنزل. يشير إلى تدني وضع المرأة من خلال علاقتها بـــالرجل وانتزاع السيادة منها " [٢].

أسهمت الذاكرة الجمعية في إقناع المرأة بضعفها، وعدم القدرة على الإبداع، فغـــدت أداة قابلة للتوظيف، والترميز، والتشكل وفق النظام السائد،

"إنّ الخضوع والسلبية والضعف والمازوشية (حب الإذلال) ليست صفات نفسية للمـــرأة، ولكنها تصبح صفاتها من أثر الاضطهاد الاجتماعي الطويل"[٣].

---

(١) نصر حامد أبو زيد: دوائر الخوف، ص٢٩.

(2)Woman Words (A Vocabulary of Culture and Patriarchal Society) by Jan Mills. PP. 164 - 165.

(٣) نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل، ص٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنَّ هذا التنميط الذي انسحب على المرأة قديماً وحديثاً ترك بحاءاته في الثقافة والمجتمع، مما جعل المرأة تَظهر كائناً هامشياً، تابعاً، فانكفأت على ذاتها، وانغمست في العمل المنزلي، لأنَّ ليس ثمة فضاء ممكن للمرأة غير ما هو مراقَب ومكبوت.

لذا لا تُعرف النساء في معظم المجتمعات إلا بصيغة علائقية مع الآخر، فهي زوجة فلان، أو أم فلان، أو ابنة شخص ما، حتى الراهبة- في التراث المسيحي - تسمى زوجة المسيح.

هذا الناموس الكوني الذي تكرّس بسطوة الثقافة* أفضى إلى إنتاج لغة تماهت مع مسطورات المجتمع، فانحازت في أكثرها إلى الرجل، وصوّرته معياراً للإنسان عموماً، وصيَّرت الأنثى فرعاً وانحرافاً.

لم تقتصر تمثّلات اللغة على ضرب مُعَيَّن، بل إنَّ فضاءاتها امتدت إلى القانون اللغوي الناظم للعلاقة بين الجنسين ، فأمسى الضمير المذكّر سائداً، وهو عُمْدَة التركيب، لأنّه محور الخطاب ومنتجه.

فاللغة بفعل هذه الثقافة غدت متحيّزة - كما ترى ديل سبندر (Dale Spender) "إنها ليست عربة تحمل أفكارنا، بل هي تُشكّل الأفكار إنّها برنامج النشاطات العقلية.

وفي السياق هي لا شيء أكثر من تخيُّلات البشر المثيرة للسخرية كالقدرة على التمسك بالأشياء كما هي موجودة.

وعندما يكون هناك لغة متحيّزة لجنس ما، ونظريات تقليدية متحيّزة أيضاً، فإنَّ ملاحظة الواقع ستكون أيضاً قابلة لأن تكون متحيّزة لجنس دون آخر"[1].

---

* سأتبع تعريف وارد جودیناف Ward Goodenagh للثقافة الذي يحددها: المعرفة المكتسبة اجتماعيا. ينظر: هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ص١١٨-ص١٢٥.

(1) Extracts from Man Made Language. by Dale Spender p. 94.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تخاطب اللغة القُرّاء كما لو كانوا رجالاً دائماً، لأنّ العُرف العام تشكّل بوساطتهم، ولعل استدعاء إعلانات التلفزة يُومض إلى ما نرمي إليه، فالإعلانات توظّف المرأة أداة إغرائية لعرض المنتوجات، وبهذا تستبعد المشاهد الأنثى على نحو صارم، أو أنها تزجُّ بالمرأة لأن تنظُر نظرة الرجل في اللاوعي، لأنها مسكونة بنزعة تلقينية مفروضة من الخارج.

عرضت الناقدات في الحركات النسوية لأشكال التحيُّز، ولا سيما في اللغة الإنجليزية الأمريكية، فهذه اللغة تُمعن في الانتقاص من قدر النساء من خلال الألفاظ والمترادفات الكثيرة:

"ففي الإنجليزية قرابة ٢٢٠ مصطلحاً يتعلق بالجنس غير الشرعي للنساء مقابل ٢٢ مصطلحاً يخص الرجال.

وزعم أحد الباحثين أنّ الإهانات الجنسية زادت منذ الحرب العالمية الثانية وابتكر الإعلام المتحكّم ألفاظاً تبتذل الحركات النسوية"(١).

ولا تقتصر الإنجليزية الأمريكية على تشويه صورة النساء الجنسية، بل تؤكد تفوّق الرجال، وتعكس الموقع الثانوي للمرأة في عالم الذكور.

"ففي دراسة للبرامج المُعدّة لتطوير اللغة الإنجليزية كان الجنس المسيطّر هو الجنس الذكوري، لذا ليس غريباً أن نلمح هذه الرموز المهيمنة في اللغة، نحو: للرجال Yell (بمعنى يصيح)، وللنساء Screams ، Angry للرجال (بمعنى غاضب) وللنساء Fret، وللرجال Growll (بمعنى يتذمر) وللنساء Squeal .

وحلل (فرانسوا) معاني الكلمات المختلفة التي تعود للذكورة والأنوثة، فوجد أنّ الكلمات العائدة للأنوثة مثل: Sweet أو Pretty بمعنى جميلة، هي كلمات ضعيفة، وكلمة Good تصطبغ بالازدرائية إذا أُطلقت على النساء"(٢).

---

(1) The Female World , by Jessie Bernard, PP. 376-377.

(2) Ibid. pp 377-378.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ تخصيص الرمز اللغوي من قبل الرجال يرمي إلى تحقيق ثلاثة أهداف:

- إثبات أنّ الرجالَ هم الآباء/السادة.

- تكريس الهيمنة على النساء.

- تدعيم رؤيتهم المتمثّلة في القدرة على تجنيس (تذكير) الحقل الثقـــافي،مثلمـــا قـــاموا بتجنيس الحقل الطبيعي للرحم.

وترى لِرِزي لِرغـِراي (Laci Lrigray) " أنّ الذكور قاموا - بوعــــي أو دون وعــــي- بتمثيل أي شيء له قيمة بما يوافق صورتهم أو جنسهم النحوي لضمان سلطتهم وهيمنتهم علــــى الخطاب. فأغلب النحويين قالوا بعشوائية الجنس النحوي، وأنّه مستقل عن الدلالات، والإشــارات الجنسية، ولكنّ ذلك ليس صحيحاً، لأنّ ذاتهم قد انسربت في يَخْضُور اللغة، فجَهِدُوا إلى تثبيـــت المذكّر، وإقصاء المؤنّث"(١).

ولكن كيف تمّت نسبة الجنس إلى الكلمات؟

ترى (لِرغـِراي) "أنّ ذلك تم بطرائق مختلفة ومستويات متنوعة، فقديماً اعتقدوا أنّ هنــاك تطابقا بين ما يسمى بالواقع وجنس الموضوع المتكلم، فالأرض la terre هي المرأة، والســماء leciel أخوها، أما الشمس. le soleil فهو الرجل الإله، والقمر la lune هـــي المــرأة أخــت الرجل الإله "(٢).

وهكذا يُلْحظ شيء من التماثل الأول يبقى دائماً في جنس الكلمات، ودرجة وضوحـــها أو اختبائها يختلف من كلمة إلى أخرى.

---

(1) Language Sexes and Gender, by Luci Lrigray, p. 120

(2) Ibid, P. 121.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالكائنات الحية القوية التي لها تاريخ (ثقافة) تصبح مذكرة، والأشياء غير الحية وغـــير القوية، التي ليس لها ذاكرة تُنسى (مؤنثة).

وهذا يُفْضي إلى أنّ الرجال نسبوا الذات إلى أنفسهم، وقاموا باختزال النساء إلى منزلـــة الأشياء أو اللاتحقق ...

لقد افترض نصيرو الحركة النسوية أنّ اللغة ليست عادلة، وشفافة لتمثّل الحقيقـــة، لـــذا انبرى هؤلاء لتعديل اللغة من التحيُّز إلى الحياد، وتنامى هذا النهج بفعل علماء الإناســـــة فـــي القرن التاسع عشر، وزاد أواره في القرن العشرين مع نهوض الحركات النّسوية في العالم.

ويُعَدُّ يسبرسن (Jespersen) (1922) من الرواد الذين بحثوا التحيز الجنسي في اللغة، فقد نعت اللغة الإنجليزية الأمريكية بأنها لغة ذكورية،ووسم جربر (Gruber) اللغة الإنجليزيـــة الأمريكية بأنها لغة كره النساء. "ومثّل على قوله بألفاظ تُظهر هذه الكراهية، فكلمة bitch تطلـق على النساء وهي في الأصل تتعلق بالحيوان، وكلمة witch (ساحر، ساحرة) التي تشـــير إلـــى الرجال والنساء تستحيل إلى ازدراء إذا أطلقت على النساء.

وهناك ألفا نكتة بذيئة في أمريكا وخارجها صاغها الرجال لامتهان النساء .. "[1].

وعبّر مارك توين (Mark Twain) عن سخطه فيما يتعلق بالجنس (من حيث التذكـــير والتأنيث) في مقاله (اللغة الألمانية المزعجة) "إنه في الألمانية ليس للمرأة الشابة جنـــس فـــارق، فيما يحظى نبات (اللّفت) بجنس محدد، فأي وقار ومهابة يتمتع بهما نبـــات اللّفـــت؟ وأي مهانـــة لحقت بالبنت أو الفتاة؟ والزوجة في الألمانية ليس لها جنس، فهي محايد"[2].

---

(1) The Female World. by Jessie Bernard. p. 379

(2) Words and Women. by Casey Miller. p. 40.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقرون خَلَتْ تم تجذير التذكير في الثقافة، مما مكّن الرّجُل من صوغ الواقع وتنسيقه طبقاً لمآربه، فهو يملك القدرة على تشريع نظام من المعتقدات يكون فوق مستوى الخطأ.

فالذكور –حسب توصيف ديل سبندر– "هم المجموعة المسيطرة التي أنتجت اللغة والفكر والواقع، وذلك ببناء الأقسام، واختيار المعاني، بعد ذلك قاموا بالمصادقة عليه، وتمريره إلى بقية الذكور، ولم يكن للمرأة في هذا الأمر سوى الانصياع لهذا القانون"(١).

هكذا طَفِق الرجل يحتكر الدوال، ويشفّر المعنى، فشاع الضمير المذكّر وتوارى ضمير الأنثى، لأنّ الأنثى تنضوي تحت الضمير المذكّر، ففي الإنجليزية الأمريكية استخدامات (he, his, him) أو كلمات (man, man kind) للإشارة إلى النساء والرجال.

وتستخدم هذه اللغة في وظائف لاحقة (-man) نحو : Freshman، Postman، Salesman، Chairman، مما يرشح في الأذهان أن هذه الاستخدامات غير محددة للجنس، بل تطلق على العام.

"وتنعت مارجريت دويل (Margeret Doyle) اللغة الجنسوية بأنها غامضة وغير دقيقة؛ لأنها تستثني أكثر من نصف البشر"(٢).

هذا التحيّز اللغوي يتعيّن في العبارات المستخدَمة، وفي طريقة اللفظ، وشدة التعبير، وبناء الجملة، وكذلك في مواضع الحديث، فهناك دوال تحمل دلالات مباينة إذا ألحقت بأحد الجنسين، " ففي الإنجليزية: تعني عبارة He is professional (هذا الرجل ينتمي إلى إحدى المهن المحترمة كالطب والمحاماة، والتعليم..، أما عبارة She is professional فتشير إلى أن المرأة مُومس محترفة، وكلمة mister تعني "سيد" أما مؤنثها mistress فتعني "عشيقة" "(٣).

---

(1) Man made Language, p. 13, P 143.

(2) Introduction to the A – Z of Non – Sexist language by M. Doyle, P. 149.

(٣) نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص٢٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة التي تلمع إلى التحيّز الجنسي في الإنجليزية، أنّ الأسماء التي ربطت اللغة بالأحداث والنشاطات، وخاصة ما يتعلق بالميول الجنسي قد صيغت تبعاً لوجهة الذّكور، نحو: Penetration "الاختراق" و Fuck ، Screw، أو Lay استلقاء.

فاصطبغت الألفاظ بالأشخاص الذين يميلون إلى الجنس الآخر، مما يوحي إلى أنها أفعال ذكورية تمارس المرأة فيها دور المنفعل.

وكان يتعيّن أن تجد ألفاظ أنثوية طريقها إلى المعجم الإنجليزي نحو: Enclosure و Sarrounding "محصور، مُحاط" ، Engulfing "مغطى، مغمور".

إنّ اختفاء هذه الدوال تومئ إلى سلطة الرجل في صياغة اللغة واحتكار المعنى"[1].

على الرغم من أنّ الجنس الأنثوي يمثّل ٥١% من السكان، إلا أنه لا يحظى بهذه النسبة في التحققات الحياتية " ففي الكتب المصورة تقابل كل صورة لأنثى ١١ صورة لذكور.

وفيما يتعلق بعنوانات الكتب* فتبلغ نسبة الذكر إلى الأنثى ٣/٨، وهي نسبة قارّة منذ عام ١٩٣٨"[2].

وقد أُجريتْ دراسة للألقاب في خطاب الرواية الفلسطينية المعاصرة، وانتهت الدراسة إلى "أنّ معظم ألقاب النساء تكمن في الميدان الاجتماعي والعائلي، وتكاد تنعدم الإشارة إلى النساء في المجالات الثقافية والإبداعي والوطنية والسياسية.

(1) See: Gender Based Language ... by, Susan E. Hilchanel, P. 165.

* بدأت هذه النسبة تتضاءل لصالح الحياد والمساواة بين الجنسين، بفعل الحركات النسوية التي تلحّ على حضور الأنثى في اللغة، ولكن ما زالت هذه الطموحات في بدايتها.

(٢) أورزولا شوي: أصل الفروق بين الجنسين، ص٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنَّ الألقاب بما تعنيه من اعتراف المجتمع وتقييمه للدور الذي يقوم بـــه الفـرد داخلـه ممنوحة للرجال فقط، وإنَّ الاعتراف بدور المرأة الفلسطينية وهويتـــها فـي مجتمعـها غـائب، ويتمحور في حدود ضيقة تعكس الشرط الاجتماعي لمنتج النص ومتلقيه" (١).

يُمنح اللقب للإنسان رجلاً كان أو امرأة باعتباره قد يُشكّل حالـة ثقافيـة معينـة داخـل المجتمع، ويكون منح اللقب لهذا الكيان الثقافي تحديداً لدور الإنسان ذاته، وإبرازاً له في مناشـط الحياة.

فاللقب انعكاس للشرط الاجتماعي والأطر المعرفية لمنتج النص ومستقبله وليس مـردّه للغة، إذ إنَّ اللغة تحتقب في تضاعيفها طرائق مُتراجِبَة لتحقيق المساواة، والاعـتراف بـالمُنْجز النِسْوي.

ولكن ما فتئ المجتمع الذكوري يعزّز مفهوم الفرادة المستحقَّة للرجال، فإن شبَّت المـرأة عن هذا الطوق المُحْكَم عليها قيل إنها باينت طبيعتها، وغادرت مواقعها الخلفيـة إلـى عربـن الرجل/اللغة.

"وهذه بعض شظايا الانفجار الذي أحدثته رواية (جين إير) "لإملي برونتي"، فـي صـف النقد الروائي في منتصف القرن التاسع عشر:

- إنه فخر أن تكون كاتبة هذه الرواية امرأة.

- إنها تكشف الكثير عن الطبيعة البشرية بشكل حـاذق ودقيـق؛ وهـذا مـا يسـتحق الإعجاب، لكنه شيء مَرُوع أن تكون الكاتبة واحدة من بنات الجنس اللطيف.

- فيها خروج وتجاوز عن كل ما هو أنثوي، وهذا خيانة للمرأة.

---

(١) ينظر: إلهام أبو غزالة: الإبداع، اللغة، والمرأة، ص١٢ - ص١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– رواية "جين إير" لا أنثوية، صحيح أنّ فيها قوة الرجل وصلابته وحريته في الكـــلام: بيْد أنّ هذا نوع من الاسترجال غير المحبب... "[1].

انتقد مناصرو الحركات النسوية هذا الفكر المنحاز في اللغة الإنجليزية الأمريكية الـــذي أسلم المرأة إلى مركزية اللوغوس/ العقل، واختزل دورها فـــي وظـــائف محـــددة؛ لـــذا ســـعت الحركات النسوية إلى تطهير اللغة من مظاهر التحيُّز، والتطلع إلـــى لغـــة محـــايدة تتســـق ودور الجنسين في صوغ الحياة.

تركّزت دراسات الجنوسة على اللغات الأوروبية والأمريكية، ولم تحظَ العربية بالمعاينـــة إلا لماماً، وربما يعود ذلك إلى حداثة هذه الدراسات وعدم سيرورتها في المشرق العربي علـــى نحو ما تحقق في الغرب.

لذا لابدّ أن نعرض للعربية في سياق الحديث عن التحيُّز والحياد: وســـأنزع فـــي هـــذه المحطات منْزِع الانتخاب والاختيار الممثَّـــلَيْن – في ظني–؛ لتعذر الاستقراء التام.

وينبغي ونحن نعرض للغة والتحيُّز أن نحترس من الخلط بين اللغة بوصفـــها ظـــاهرة، والنظرية التي تحاول استخلاص قوانين الظاهرة، فإذا كان ثمّة تحيّز فمبعثه الثقافة وقيم المجتمـــع لا اللغة، فاللغة محايدة في مستوياتها المتعينة، ولكنها تصطبغ بـــالأطر المعرفيـــة والاجتماعيـــة للأفراد.

يتعيّن لدراسة التحيُّز الإلماع إلى أثر الثقافة في أقاليم اللغة، فاللغة في جوهرها متأصلـــة في حقيقة الثقافة ونظم الحياة والعادات عند كل جماعة، وهي توفِّر مدخلاً للثقافة، وتُعيـــن فـــي الكشف عن المفاهيم المحورية فيها، ولا يمكن إيضاح اللغة إلا بالعوْد الدائم إلى محيطها الأوســـع الذي تخلَّق فيها الكلام.

---

(١) نازك الأعرجي: صوت الأنثى، ص٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالعربية تعكس تمثُّلات الثقافة التي تشرَّبت نسقها، وأسهمت في تبلُّرها، لأنّ اللغة في حقيقتها نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي يتبناها مجتمع لِتُترجَم من خلال تحقُّقات فردية.

فالفرد يكتسب اللغة وهو اكتساب بالضرورة لطرائق التفكير الثاوية في نأماتها، لأنها الذاكرة الجمعية التي تُودِع الشعوب فيها خبراتها، وتنقلها إلى الأجيال اللاحقة.

فالثقافة العربية لم تكن بِدْعاً من الثقافات، فهي تنفعل بما خامرها من حضارات سابقة، وفكر إنساني متقادم، وتتفاعل مع محيطها لنسج منظوماتها من هذا الخليط المتراجِب الذي يتناصى بشهقة التكوين الأولى. وهذا أصل أصيل في كل أمة، وفي كل لسان، وفي كل ثقافة حازها البشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومللهم.

سَقْتُ الحديث فيما سلف إلى التحويرات التي اكتنفتها قصة الخلق الأول، وما أعقبته من آثار على الجنسين؛ إذ حَظِيَ الذكَّر بالأصالة والغَلَبة، ومُنِيَت الأنثى بالفرعية والاختزال.

ولعل كثيراً من المقولات المتقادمة القارّة في الثقافة والمجتمع قد أرخت سدولها على اللغة، وتجلَّت هذه الظلال في الأصول التي أَسَّست اللغة عليها بنيانها، وفي المؤونة التي وفَّرتها الثقافة للغويين والنحويين لتصنيف اللغة، وتقعيدها.

لقد حفظت الثقافة العربية مجموعة من الصُّور النمطية للجنسين، فانسرب ذلك في خَلَد أفرادها، وتمثَّل في معاينتهم للرجل والمرأة، فالرجل ظَلَّ في المقدمة يَرْفُل بالقوة والسؤدُد، فيما اقترنت المرأة بالضعف والغدر والجُبْن.

هجا زهير بن أبي سلمى آل حصن بقوله:

وما أدري وسوف إخالُ أدري أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإنْ تكـن النســـاءُ مخبآتٍ   فحُقَّ لكل مُحصنة هداء[1]

علّق الأعلم الشنتمري على هذين البيتين بقوله: "إن كانوا رجـــالا فسـيوفون بعـــهدهم، ويبقون على أعراضهم، وإن كانوا نساء، فمن شأن النساء الغدر وقلة الوفـــاء، وإنمـــا يصلحـــن للتخبئة والنكاح".[2]

ويرى طفيل الغنوي أنّ النساء لا يلتزمن بما يملى عليهنّ:

إنّ النساء متى يُنهيْن عن خُلُق   فإنّه واقعٌ لابدّ مفعـــــولُ[3]

والمرأة قرين الغدر كما وصفها أبو تمام:

فلا تحسباً هنداً لها الغدرُ وحدها   سجيّةُ نفسِ كلّ غانيةٍ هندُ[4]

مجّد هذا المجتمع الرجولة، فهي ذؤابة المدح والبهاء، وخلاف ذلك الأنوثة، فـــهي مـــادة الهجاء والسخرية. هجا جريرُ الفَرزْدق قائلاً:

خُذوا كُحلاً ومجْمرة وعطْراً   فلستم يا فرزدقُ بالرجال

وهجا أحد الشعراء عبْساً:

فسادةُ عبسٍ في الحديث نساؤها   وقادةُ عبسٍ في القديم عبيدُها[5]

والمرأة تَردُ في بعض تحقّقات الثقافة رديف الغَيّ والضلال، قال أبو العلاء المعري:

إذا بلغَ الوليدُ لديك عشراً   فلا يدخلْ على الحرمِ الوليدُ

ألا إنّ النساء حبالُ غيٍّ   بهنّ يُضيّعُ الشرفُ التليدُ [6]

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٧٣-ص٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٤.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد: ٦/ ١٢٧.

(٤) ديوان أبي تمام: ٨/٢.

(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة ٢٢٦/١.

(٦) البطليوسي: شرح المختار من لزوميات أبي العلاء، ت: حامد عبد المجيد، ١٤٠/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعل تلازم المرأة بموضوع الهجاء دعا أبا تمام أن يخصص باباً لمذمة النساء في كتاب الحماسة، فإذا علمنا أنّ أبا تمام كان أول من صنف الشعر تصنيفاً موضوعياً فتلك أمارات عن الثقافة التي رسّبت هذه الأنظار.

إنّ استجلاء صورة المرأة في الشعر القديم يُشعرُ بأنها عُرضت مثالاً منزوع الحركة، أو أداة رمزية قابلة للتوظيف، فحضورها ليس حضوراً كيانياً مُنْتجاً، بل في كثير من التمثلات كانت عاجزة عن الحركة، تتسم بالعطالة والسلبية، لأنّ الشاعر يُشكّل ذاتها وفْق ثقافته ورؤاه. "فالترميز بحد ذاته عملية تُقلّص المرموز إلى محْض بعده بوصفه موضوعاً، بينما يحتكر الرامز أو مؤول الرمز كل الذاتية لحسابه، ومع أنّ الترميز يفترض أصلاً بالموضوع المرموز أن يكون قابلا للتشكيل، أي مادة مطْواع يحدد الآخر مصائرها".[1]

لقد جرى تصميت المرأة لا لمجرد المنع من الكلام، ولكن منعها من الحضور في اللغة على نحو ما تَحقّق للرجل، ففي الجاهلية والإسلام تم إحصاء ٥٠٤ شاعرة[2]، لكن لم تَمْنَح القيم السائدة لهؤلاء الشاعرات البروز، إلا من خَرَقْن ستار الصمت، وفَرضْن تجاربهن بمضاء وعزم، كالخنساء، وسكينة بنت الحسين، ورابعة العدوية. ومع هذا لم تَسْلَم تجربة المرأة من الإزراء عليها، ففي خبر عن بشار بن بُرْد أنه قال: "ما من شعر تقوله امرأة إلا بان فيه الضعف، فاعترضه أحد جلسائه. والخنساء؟ فقال: تلك كانت لها أربع خصيّ .. "[3].

وانتقد الفرزدق امرأة قالت شعراً. فقال: "إذا صاحت الدجاجة صياح الديك فلتُذْبح"[4].

---

(١) جورج طرابيشي: رمزية المرأة في الرواية العربية، ص١٢٠.

(٢) ينظر: عبد مهنا: معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام.

(٣) عن: هادي العلوي: فصول في المرأة، ص١٧.

(٤) الميداني: مجمع الأمثال ١/١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالثقافة في بعض أنحائها عدّت اللغة شرطاً ذكورياً، فحكمت على المُنْجَز الأنثوي بالإجهاض، فتوارت المرأة عن مزاحمة الرجل حقه. "ويبدو أنها كانت تخشى إن تميزت في الواقع تحت تسمية تخصّ جنسها أن تفقد حماية الرجل، التي هي دائماً مشروطة بالانصياع في الثقافة كما في البيت، وكما في المجتمع .. "[1].

ضرب هذا السلوك المنمَّط للمرأة بكَلْكَلِه على تمثُّلات اللغة "فكل ما نتلقاه من أدب وتراث عن المرأة هو من نتاج هذه الصورة الخرساء لذلك الجسد النائي، فهذه ليلى، وعزة، وبثينة من المعشوقات الهلاميات (الخُرْس) مثل اللّات والعُزّى ومَناة ممن لم نسمع لهن صوتاً، ولم نتصوّر وجودهن الفاعل؛ لأنّ الثقافة لم تُرِدْهن للكلام، وإنما أرادت سكوتهن وتحليقهن في سماء المخيال المجنّح"[2].

فالطبيعة – طبقاً لهذا المخيال – أرادت للمرأة الركون في البيت، لتمارس هواجسها ووظائفها الأنثوية. عبّر أحد الشعراء عن ذلك بقوله:

ولا تَحْمَدْ حِسانَك إن توافَتْ	بأيدِ للسُّفور مقوّمات
فَحملُ مغازلِ النّسوانِ أولى	بهنّ من اليراعِ معلمات

سكبت الثقافة في خَلَد المرأة أنّ الصمت مكرمة، يتعيّن عليها تقمصه والالتزام به، حتى تحظى بالقَبول؛ لأنّ الكلام لا يتلاءم وطبيعتها التي صاغها المجتمع لها، إنّها جسد مثير –كما وصفها ابن حزم: "إنهن متفرغات البال من كل شيء إلا من الجماع ودواعيه، والغزل وأسبابه، والتألف ووجوهه، لا شغل لهن غيره، ولا خلقن لسواه. والرجال مقتسمون في كسب المال وصحبة السلطان، وطلب العلم ومكابدة الأسفار، والصيد وضروب الصناعات، ومباشرة

---

(١) نازك الأعرجي: صوت الأنثى، ص٨.

(٢) عبد الله الغذّامي: ثقافة الوهم، ص٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحروب، وملاقاة الفتن وتحمُّل المخاوف، وعمارة الأرض، وهذا كله متحيّف لفراغ، صارف عن طريق الباطل"[1].

كرّست الثقافة أدوار الجنسين، فكان للرجال مركزية العقل والمكانة السَنيّة، وللمرأة العاطفة والهوى، فهي مستغنية عن العقل – تبعاً لوجهة المجتمع – متوقدة غُلْمة.

"حُكي عن امرأة يُقال لها المُعبِّرة، كانت أحكم أهل زمانها، وأعرفهم بالأمور، قيل لها:

أيتها الحكيمة: أين تَجِدْن العقل معشرَ النساء؟

قالت: بين الأفخاذ"[2].

وعن هذا المسطور الثقافي صَدَرَ خالد بن صفوان، حين قيل له: أتملُّ الحديث؟ قال: إنما يُملُّ العتيق، والحديث معشوق الحِسّ بمعونة العقل، ولهذا يُولع به الصبيان والنساء، فقال: وأي معونة لهولاء من العقل، ولا عقل لهم؟"[3].

لعل هذا التراتب بين الجنسين أفضى بالجاحظ إلى انتقاد بنية المجتمع التي ترى في الذكورة قيمة أثيلة، وتنأى عن الاحتفاء بالأنوثة. ذكر الجاحظ في (رسالة النساء):

"ولسنا نقول، ولا يقول أحد ممن يعقل أنَّ النساء فوق الرجال، أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو أكثر، ولكنا رأينا ناسا يزرون عليهن أشدَّ الزراية، ويحتقرونهن أشدَّ الاحتقار، ويبخسونهن أكثر حقوقهن، وإنَّ من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الأباء والأعمام إلا بأن يُنكِر حقوق الأمهات والأخوال"[4].

---

(١) ابن حزم: طوق الحمامة، ص٨٤-ص٨٥.

(٢) النفزاوي: الروض العاطر في نزهة الخاطر، ص١٣٧.

(٣) أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ١/ ٢٣.

(٤) الجاحظ: رسائل الجاحظ، ٣/ ١٥١-١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النحو والتحيُّز:

لم يكن النحو بمنأى عن الثقافة السائدة، فقد تبلْرت سيماؤه من الواقع اللغوي، وما كان للغويين والنحويين إلا أن يَرْكَنوا إلى سلطان البيئة والثقافة، فمعياريتهم محمولة على توصيف لهذا الاحتشاد اللغوي.

رتّبت العربية أحكاماً نحوية وصرفية وفيرة للتمييز بين المذكَّر والمؤنّث، نحو: تذكير الفعل وتأنيثه، واستخدام الاسم الموصول المناسب، واستخدام اسم الإشارة الملائم، والخبر، والحال، والنعت، والعدد، والتصغير، والممنوع من الصرف، والتفضيل، وغيرها.

ولعل هذه الوفْرة في أبواب النحو والصرف تحققت؛ لاعتقادهم بأنّ التذكير والتأنيث طريقة من طُرُق التقسيم النحوي لإظهار التوافق في السياق حتى يكون التماسك فيه واضحاً.

ولكن الحرص على التوافق السياقي لم يكن خِلْواً من تداعيات الثقافة ووطأة المجتمع. لذا نلْحظ أنّ "الأصالة والفرعية" في الجنس اللغوي مشوبة بفكرة التكوين الأولى، التي قررت أنّ الذكر أصل ومنه اشتُقّت الأنثى. وبالضرورة أن يُغلّب الأصل على الفرع لتتسق والفكرة الجوهرية للوجود.

أقام النحويون على هذا الأصل كثيراً من قواعد العربية، ذكر سيبويه:

"الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختَّص بعد، فكل مؤنّث شيء، والشيء يُذَكّر، فالتذكير أول، وهو أشدّ تمكناً"(١).

ويقول سيبويه في موضع آخر: "الشيء يختص بالتأنيث، فيخرج من التذكير"(٢).

وترددت هذه المقولة في مؤلفات النحويين فيما بعد.

---

(١) سيبويه: الكتاب، ٣/٢٤١.

(٢) المصدر نفسه: ٣/٢٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكر المبرّد: "أنّ كل ما لا يُعرف أمذكّر هو أم مؤنّث، فحقُّه أن يكون مذكّرا؛ لأنّ التأنيث لغير الحيوانات إنما هو تأنيث بعلامة، فإذا لم تكن بعلامة، فالتذكير الأصل"(١).

وقال الزّجّاجي: "أصل الأسماء التذكير، والتأنيث داخل عليها"(٢).

ويذكر في موقع آخر: "فأما الأفعال فمذكّرة كلها، وإنما تلحقها علامة التأنيث دلالة على تأنيث الفاعل"(٣).

ويقرّر ابن جنّي "أنّ إلحاق علامة التأنيث للفعل دليل على تأنيث الفاعل أو نائبه لا دليل على تأنيث الفعل، فالفعل يدل على نسبة الحدث إلى صاحبه: الفاعل، المفعول به، نائب الفاعل والحدث جنس، والجنس مُذكّر"(٤).

يقدّم ابن يعيش الدليل على أصالة المذكّر، في أمرين هما:

"مجيئهم باسم مذكر يعُمّ المذكّر والمؤنّث، والثاني أنّ المؤنّث يفتقر إلى علامة، ولو كان أصلاً لم يفتقر إلى علامة"(٥).

إنّ افتقار المؤنّث إلى علامة تحيل إلى فكرة موغلة في القدم، إذ نُظر إلى اللاحقة أنها سمة للضعف وأقل القيمة، يذكر المستشرق(فليش)"إنّ هذه اللواحق الخاصة بالمؤنّث النحوي يجرّنا إلى تصور حالة من حالات اللغة ضاربة في القدم، حيث كانت هذه اللواحق تصدق على طبقات، ويبدو أنها قد التقت في طبقة يمكن تمييزها: طبقة أقل القيمة أو الأدنى، وهي التي

(١) المبرّد: المذكر والمونث، ص١٠٨.
(٢) الزجاجي: كتاب الجمل في النحو، ص ٢٩١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩٠.
(٤) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/ ٢٢٣.
(٥) ابن يعيش: شرح المفصل، ٥/ ٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمكن أن تفسر فصائل الكلمات المختلفة التي قد تضمها: كالتصغير، والتحقير واسم الجماعة، وكلمات المعاني المجرَّدة"[1].

وأشار يسبرسن (Jespersen) إلى ذلك حين قال: "استخدمت اللغات القديمة نهايتين للدلالة على التأنيث، وهما " a " و " i "، وهي مرتبطة بمعاني الصِّغر والضآلة والنقصان والضعف في لغات كثيرة قديمة"[2].

- **التغليب للمذكَّر:**

تغليب المذكَّر من سنن العرب، ذكر الثعالبي في حديثه عن (خطاب الرجال والنساء بالصيغة نفسها):

"قال تعالى عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله)، وقال (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)، فعمَّ بهذا بالخطاب الرجال والنساء، وغلّب الرجال، وتغليبهم الرجال من سنن العرب "[3].

وتبعاً لذلك كان "تأنيث المذكَّر من قبيح الضرورة"[4]، "أما تذكير المؤنَّث فواسع جداً؛ لأنه ردٌّ فَرْع إلى أصل، لكن تأنيث المذكر أذهب في التناكر والإغراب"[5].

فإذا اجتمع مذكَّر ومؤنَّث حُمِلَ الكلام على التذكير؛ لأنَّه الأصل، فتقول: الرَّجُل والمرأة حضرا، وجعفر وأسماء ابنا أبي بكر، ولو اجتمعت مئة امرأة ورجل، لتعيّن الإشارة إليهم بصيغة المذكّر، لا بصيغة جمع المؤنّث، فرجل واحد بمقدوره أن يُلْغي مجتمعاً من النساء ولو

---

(١) هنري فليش: العربية الفصحى، ت: عبد الصبور شاهين، ص ٧٠.

(٢) أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص٦٤، نقلاً عن:
Language, Nature, Development and Origin, by Otto, Jespersen, P. 394.

(٣) الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، ص٣٣٦.

(٤) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/١٢.

(٥) ابن جني: الخصائص، ٢/ ٤١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثُر؛ لأنّ الذّكر في الجبلّة الأولى أصل للأنثى، يقول الأنباري: "المذكّر والمؤنّث إذا اجتمعا غلّب المذكّر على المؤنّث، لأنّه هو الأصل، والمؤنّث مزيد"[1].

ويذكر ابن يعيش: "إذا اجتمع مذكّر ومؤنّث حُمِل الكلام على التذكير لأنه الأصل"[2].

وقال السيوطي كذلك "يُغلّب المذكّر على المؤنّث إذا اجتمعا في التثنية والجمع"[3].

وتُراعى هذه القاعدة في الأعداد، فتقول: "هذا حادي أحد عشر إذا كنّ عشر نسوة معهن رجل؛ لأنّ المذكّر يغلب المؤنّث، ومثل ذلك قولك: خامس خمسة إذا كنّ أربع نسوة فيهنّ رجل كأنك قلت: تمام خمسة.

وتقول: هذا خامس أربع إذا أردت أنه صيّر أربع نسوة خمسة..، وتقول: ثلاثة اشخص وإن عنيت نساء؛ لأنّ الشخص اسم مذكّر"[4].

- **جمع المؤنّث جمع مذكّر:**

أفردت العربية جموعاً خاصة بالمذكّر، وأخرى للمؤنّث. إلا أنّ بعض الألفاظ المؤنّثة جاءت على جموع خاصة بالمذكّر، نحو:

".. جمع قَاعِدة وثَائِرة، وقَائِمة، ونَائِمة، وصَادّة: قُعّاد، وثُوّار، ونُوّام وصُدّاد. وفُعّال جمع خاص بالمذكّر، والأصل فيهن أن يأتينَ على قَواعِد وثَوائِر، ونَوائِم، وصَوادّ، إذ فواعل جمع خاص بالمؤنّث"[5].

---

(١) ابن الأنباري: المذكّر والمؤنّث، ص٦٧٦.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ٣٥/٦.

(٣) السيوطي: المُزهر، ١٨٥/٢.

(٤) سيبويه: الكتاب، ٥٦١/٣-٥٦٢.

(٥) السيوطي: الأشباه والنظائر، ٣/ ٩٥-٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جمع فَعيل: فُعلاَء، وجمع فَعيلة: فعائل، غير أنهم قالوا: امرأة فقيرة من نسوة فُقَراء. "وإنما جمْع خليفة خُلَفاء، وفُعلاء إنما هي جمع فَعيل؛ لأنه ذهب بالخليفة إلى الرجل، فكأنَّ واحدهم خَليف ثُمّ جمع خلفاء، فأما لو جمعت "الخليفة" على أنها نظيرة "كريمة" و "حليلة" و"رغيبة" قيل: خلائف كما يقال كرائم وحلائل ورغائب، إذ كانت من صفات الإناث، وإنما جُمعت "الخليفة" على الوجهين اللذين جاء بهما القرآن، لأنّها جُمعت مَرَّة على لفظها، ومرّة على معناها"[1].

- **المذكَّر خفيف وأشد تمكناً:**

ذكر سيبويه: "اعلم أنّ المذكّر أخفُّ عليهم من المؤنّث؛ لأنّ المذكّر أوّل، وهو أشدّ تمكّناً، وإنما يخرج التأنيث من التذكير، ألا ترى أنّ الشيء يقع على كل ما أُخبر عنه من قبل أن يُعلَم أذكر هو أو أنثى، والشيء ذكر، فالتنوين علامة للأمكن عندهم، والأخف عليهم، وتركه علامة لما يستثقلون"[2].

علّل الزجّاج منع العلم المؤنّث من الصرف بقوله: "وإنما لم تصرف جميع ما ذُكر في هذا الباب، لأنّ التّأنيث فرع من التّذكير، والتّذكير هو الأصل"[3].

وذهب السجستاني إلى أنّ صرف الأسماء ومنعها يتناصى بعلة الخفّة والثقل:

"اعلم أنّ المذكّر أخفُّ من المؤنّث، لأنّ التّذكير قبل التّأنيث، فلذلك صُرِف أكثر المذكّر

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن ، ١٢/٥٤٠ - ٥٤١، والأزهري: تهذيب اللغة، ٧/٤٠٨.

(٢) سيبويه: الكتاب، ١/٢٢.

(٣) الزجّاج: ما ينصرف وما لا ينصرف، ص٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربيُّ، وترك صَرْف المؤنَّث•، ولذلك استمرّ المذكَّر بغير علامة للتَّذكير، بل ليست للتَّذكير علامة، لأنَّه الأول"(١).

وهذه القاعدة لا تتخلَّف إلا إذا سمي مذكَّر بصيغة المؤنَّث، يقول سيبويه:

"إذا سمَّيتَ المذكَّر بصيغة المؤنَّث صرفته، وذلك أن تسمي رجلاً بحائض أو طامث"(٢).

- **صيغة فعيل:**

غَلَبَ على هذه الصيغة التَّذكير، ولم تخلُ عِلَل النحويين من تأثير الثقافة التي قصَرَت هذه الوظائف على الرجال فقالوا: فلانة وصيّ فلان، وهي كفيلي، ووليي، وأميرنا امرأة.

علَّل الفرّاء مجيء هذا البناء بغير هاء بأنَّه "إنَّما يكون في الرجال دون النساء، فلما احتاجوا إليه في النساء أجْروْه على الأكثر من موضعيه"(٣).

وهَجَس بمثل ذلك ابن الأنباري، فقال: "ألا ترى أنَّ الإمارة،والوصيَّة،والوكالة،الغالب عليها أن تكون للرجال دون النساء .. "(٤).

لعل مشاركة المرأة في هذه الوظائف بعد ذلك ألجأ العلماء لأن يُشقّقوا لهن صيغة تتوافق وجنسهن. ذكر السجستاني: "إنَّ العرب قالوا: كفيلة، ووصيّة، وجريّة، ونحوها بالهاء على القياس، وعلى شركة المذكَّر"(٥).

• يستشعر من هذا التمييز أنَّ المذكر رفل بحضور قيمي، فالأسماء المذكَّرة تَلقى تلقي الإلف والإيناس، فيما يغص بالأسماء المؤنثة، لعل هذا التمييز دفع أحد الباحثين لانتقاد هذا النظام: "هذا التمييز بين العربي وغير العربي على مستوى بنية اللغة وعلى مستوى دلالتها ينبع منه تمييز أخر بين المذكَّر والمؤنَّث في الأسماء العربية، وهو تمييز يجعل من الاسم العربي المؤنَّث مساوياً للاسم الأعجمي من حيث القيمة التصنيفية، فبالإضافة إلى تاء التأنيث - التي تميز بين المذكَّر والمؤنَّث على مستوى البنية الصرفية - يُمنع التنوين عن اسم العلم المؤنث، كما يُمنع عن اسم العلم الأعجمي سواء بسواء، في هذه التسوية بين المؤنث العربي والمذكر الأعجمي نَلْحَظ أنَّ اللغة تمارس تمييزاً، وهذا امتداد للخطاب السائد" . ينظر. نصر حامد أبو زيد: دوائر الخوف، ص٣٠.

(١) السجستاني: المذكَّر والمؤنَّث، ص٣٧.

(٢) سيبويه: الكتاب، ٣/ ٢٣٩.

(٣) الفرّاء: المذكَّر والمؤنَّث، ص٦١.

(٤) ابن الأنباري: المذكَّر والمؤنَّث، ص٦٤٧

(٥) السجستاني: المذكَّر والمؤنَّث، ص ٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **صيغة فاعل:**

يغلب على هذه الصيغة التذكير؛ لأنّ نصيب الأنثى فيها قليل، ذكر ابن الأنباري: "إنّ بالِغاً وسافراً وعاشقاً نعوتٌ مذكّرة وصِفَ بهن الإناث، فلم يؤنّثن إذ كان أصلهن التذكير، والدليل على أنّ أصلهن التّذكير أنّ الرجال يوصفون بهذه الأوصاف أكثر مما يوصف بهن الإناث"(١).

- **تغليب المؤنث:**

مالت العربية في عدد من المواضع إلى التأنيث، فلم يكن انحيازها إلى المذكّر على إطلاقه، فقد أحصى محمد عبد الخالق عُضيمة تأنيث الفعل وتذكيره في القرآن،وخرج بجُملة من النتائج:

- أنّ القرآن أنّث الفعل مع المجازي التأنيث المتصل بالفعل أو المنفصل عنه ٢٦٩ مرة، وذكّر الفعل معه ٥٧ مرة.

- أنّث الفعل مع جمع التكسير المتصل بالفعل أو المنفصل عنه ٢٦٤ مرة، في حين ذُكّر الفعل معه ٦٥ مرة.

- بلغ مجموع مواضع تأنيث الفعل في القرآن ٦١٧ موضعاً، في حين أنّ مواضع تذكيره لم تتجاوز ١٩٣.

- الغالب في القرآن تأنيث الرُّسُل، فقد جاءت آيات التأنيث ٢٦ آية، أما مواضع التذكير فلم تتعدّ سبع آيات"(٢).

---

(١) ابن الأنباري: المذكّر والمؤنّث، ص ١٤٢.

(٢) محمد عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القران الكريم، ٧/ ٤٨٨-٤٨٩، ق٣، ج١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **تغليب الليالي على الأيام:**

ذكر أبو علي: "اعلم أنّ الأيام والليالي إذا اجتمعت غلّب التأنيث على التذكير، وهذا خلاف المعروف من غلبة التذكير على التأنيث في عامة الأشياء"(١).

- **جمع المذكَّر جمع مؤنث:**

تُجيز العربية أن يُجمع المذكّر في بعض حالاته جمع مؤنث، وتبعا لذلك أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة جمع أصناف من المذكر جمع التأنيث الشائعة، نحو:

إطارات، بلاغات، جزاءات، حسابات، خلافات، خيالات، إعلانات،، شعارات، صراعات، ضمانات، عطاءات، قرارات، قطارات ... "(٢).

- **تسمية المذكَّر بالمؤنث:**

ذكر سيبويه أنّ المذكر قد يوصف بالمؤنث "فأما ما جاء من المؤنث لا يقع إلا لمذكر وصفا، فكأنه في الأصل صفة لسلعة أو نفس. كما قال (لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة) "(٣).

- **إلحاق المذكَّر علامات التأنيث:**

ألحقت العربية علامات المؤنث بالمذكَّر، منها الهاء نحو قولك: "رجل باقعة وربعة، وصرْورة للذي لم يحج، ونَزْوقة للجبان، وتلْعابة، وضُحكَة، وهمزة.

أما الألف الممدودة، مثل: رجل عياياء، وطَباقاء، وبُسر قَريثاء، ويوم ثُلاثاء وبراكاء للشديد القتال، ورجل ذو بزلاء إذا كان جيد الرأي.

---

(١) ابن سيده: المخصص، ١١٥/١٧.

(٢) في أصول اللغة، ٢/ ٥٩.

(٣) سيبويه: الكتاب ٣/ ٢٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الألف المقصورة، نحو: رجل خُنْثَى، وزِبَعْرَى للسيء الخُلُق، وجمل قَبَعْثَرى إذا كان ضخماً شديداً، والبَهْمَى نبت له شوك، وخُزَامى نبت ... "[1].

يُلْحظ من دراسة المذكّر والمؤنّث في اللغة، أنّ أكثر ما عُنِيَ به العلماء هو دراسة التأنيث، حتى ليخيّل أنّ المشكلة كانت تكمن في التأنيث، فأكثر ما صنفه العلماء كان موقوفاً على أحكام التأنيث، والمؤنّثات السماعية، ولعل أوّلية اللّحْن تومئ إلى ذلك، فقد رُوي "أنّ هذه عصاتي، أول لَحْن سُمع بالبادية"[2].

يُلْحَظ أنّ تغليب المؤنث على المذكّر ظل عُدولاً عن الأصل، فالأشياء أصلها التذكير وَفْق هذه المنظومة اللغوية، ولكن ما ألجأ اللغويين إلى ذلك هو المعيار الصارم الذي رسّموه لضبط اللغة وتقعيدها، فحين غلّبوا التأنيث في بعض الحالات كانوا يحملون ذلك على المعنى، أو يؤوّلونه بالمذكّر لأنّه أصل، فالفرع يُقَاس على الأصل عند اتحاد العلة،وفي ذلك تأثّر بأصول الفقه والمنطق.

وثمة إشارة أخرى، هي أنّ مؤسسة النحو ظلّت حكْراً على الرجال، فلا يتراءى لنا اسم امرأة. ففي إحصاء لتراجم (إنباه الرواة على أنباه النحاة) التي تجاوزت ٩٧٦، لم تطالعنا سوى امرأة تعرف بابنة الكُنَيْزِيّ عُنِيَتْ بالنحو[3].

فيبدو أنّ المجتمع وفّر للمرأة فرصة التعليم الديني، لحساسية منعهن من تعلم علوم الشرع، فأكثر ما برزت فيه النساء: علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الفقه...

---

(١) ابن التُسْتُري: المذكّر والمؤنّث، ص٤٨-ص ٤٩.

(٢) أبو البركات الأنباري: البُلْغة في الفَرْق بين المذكّر والمؤنّث، ص٦٧.

(٣) ينظر القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدلالة والتحيز:

وثّقت الثقافة الصورة النمطيّة المألوفة عن الجنسين، فذكّرت الرجل بدور الفعل والقـــوة، وخلَعَتْ على المرأة صفات الضعف والعَطَالة، فتسلّلت كثير من هذه الأدوار إلى حظيرة اللغـــة، فاتّشحت مفرداتها بلَبُوس الثقافة السائدة.

إنّ حضور الأنثى والذكر ارتماء في ثقافة مركوزة في تربة المجتمع، وامتداد وجـــودي للذات التي بلّرت هذه الدوال، فأمسى الذكر عصيَّ التعريف، مُتراجب الدلالة، فيما تعيَّنت الأنثـــى بدورها المعهود، ففاضت اللغة بتسمياتها حَسْبَ مراحل العمر، وبمفردات الجمال والزينة، وبتتبُّـــع أدوارها البيولوجية، وبألفاظ النكاح، وبصفاتها المحمودة والمذمومة... وغيرها من توصيفات لـــم تخلُ من آثار ثقافية اجتماعية.

ولعلّ مقاربة لتحقق المرأة في ألفاظ اللغة يُفْصِح عما نهجس به.

"فالمرأة" ترتدّ إلى فعل "مَرَأ" أي طعم، وهنا تلازم الطعم بالطعام، وتجمع على غـــير اشـــتقاقها، فيقال: نساء ونِسْوَة، وتُعْرَف بأنها مؤنّث الرجل، والنساء تَعْنِي: "المَنَاكِح"، وهنا ارتبـــاط المـــرأة بالجنس والإنجاب.

وهي "حَرَم"، والحَرَم: المنع، ويقال حُرْمَة الرجل أي حَرَمه وأهله، والحَرِيم يعني (النساء)، وفـــي ذلك إضفاء اللامساس على المفردة.

ويقال حليلة الرجل، وطلّته/خمرته، وهي قعيدته، ورَبَضُه، وهي ظَعِينَة فلان، ويقال كانت تَحْـــتَ فلان؛ أي زوجـــه، وهـــي فِرَاشُـــــه، وإزاره، ومحـــــل إزاره، ومحـــــل مِـــنزره، وأم العيـــال ..."[1].

---

(١) ينظر: ابن السـكيت: كتاب الألفـاظ، ص٣٥٠-ص٣٥١، ابن الأنباري: الزاهـر في معاني كلام النـاس، ٢/ ٦٣-٦٥. وابن منظور: لسان العرب "مرأ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه المفردات وغيرها تشير إلى دور المرأة في المجتمع، ونظرة الثقافة إليها، فهي تابعة للرجل في كل أدوارها، وحضورها موقوف على الإنجاب والمتعة، وهذا يفسر وَفْرَة المفردات الحسّيَة للمرأة، وألفاظ النكاح في معجمات اللغة وأسفارها.

" ذكر أبو زيد: امرأة مكْمورة أي منكوحة، وهَرَج يَهْرَج هَرْجاً، ونخب نخْباً، فطًا فطئاً، ونشل نشلاً، وفجا فجئاً، وشطًا شطئاً، ورطًا رطئاً، ولثأ لثئاً، وقَمْطَر قَمْطَرة، ورطم رطْماً، وكوم كوماً.

وقال أبو عمر: دحاها، وأرّها، ودحَمها.

وقال غير أبي عمر: باضَعَها، ولامسها، ومَخَزَها.

ويقال: امرأة مُكَامة، أي منكوحة.

ويقال: الكشر والمحج والزّغْب، والجلْح، والغَشّ، والنخب ... "(١)

وعرض الثعالبي في (كتاب فقه اللغة وسر العربية) إلى عدد من أسماء النكاح، وقال إنها تبلغ مئة كلمة عن ثقات الأئمة، وتخيَّر الثعالبي بعضها، نحو:

"المَخْت، والمسْح: النكاح الشديد

الدّعس والعزْد: النكاح بشدة وعنف.

والهكُّ والهقّ والإجهاد: شدة النكاح، والزّهْز والدّحْز، والهرْج ... " (٢)

وهناك ألفاظ عديدة تتعلق بالنكاح موزّعة في تضاعيف اللغة، وما يُلْحظ من هذه الألفاظ أنها تتّسم بالإيحاش نحو هذه العلاقة، وإسناد الدور الفاعل للرَّجل، وحصر المرأة بالإيعاب والتلقي.

---

(١) ابن السكيت: كتاب الألفاظ، ص٢٦٤، ص٣٥٠-ص٣٥١.

(٢) الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، ص١٨٥-ص ١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتستعلن أدوار الجنسين في اللغة، لتنبئ – إلى حد كبير – عن الثقافة والمجتمع التي تخلّقت في أحنائهما. قال الخليل: "الفَنَد: إنكار العقل من هرم، يقال شيخ مُفْنِد، ولا يقال: عجوز مُفندة؛ لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتُفند في كبرها"(١).

وذكر ابن مكي الصقلي: "السخاء والشجاعة من مناقب الرجال.

والسّمن مذموم في الرجال، محمود في النساء.

والرّسَح هو قلة لحم الوركين، محمود في الرجال مذموم في النساء"(٢).

ويذكر ابن يعيش أنه "لا يقولون للمرأة عوّارة؛ لأنَّ الشجاعة والجُبْن من أوصاف الرجال لحضورهم الحرب، وكثرة لقائهم مع الأعداء"(٣).

لقد وقفتُ على عدد من أسفار اللغة، نحو: (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه للأصمعي، وكتاب الألفاظ لابن السكيت، وفقه اللغة للثعالبي، والمخصص لابن سيده، والقاموس المحيط للفيروزابادي، والمترادف والمتوارد لإبراهيم اليازجي)*.

وكان وُكْدي أن أستجلي صورة الذّكر والأنثى في ألفاظ اللغة، وهل أسهمت الثقافة في إضفاء مسطوراتها على أقاليم اللغة؟ فانتهيتُ إلى جملة من الإلمعات.

– مالت الثقافة إلى إضفاء صفات محايثة للجنسين تتّسق والنمط المتجذّر فيها، فظفر الرجال بسَهْم وافر من الصفات الجامعة لمناشط الحياة، مما يؤكّد الدور الفاعل لهم.

– امتزجت صفات المرأة في هذا الإحصاء بدورها الذي أملاه عليها المجتمع، فهي الزوجة والأم والمعشوقة. لذا اندغمت هذه الأدوار بالألفاظ الملحقة بها.

---

(١) الخليل بن أحمد: العين، ٤٩/٨.

(٢) ابن مكي الصقلي: تثقيف اللسان، ٣٤٧.

(٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ٦٧/٥.

* ينظر: الملحق في نهاية الرسالة."اثرتُ أن أجعل أمثلة هذه المسألة لكثرتها ملاحق".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– نالت الصفات المعنوية للرجال سُهْمة كبيرة، فهم السادة، وذوو العقول الراجحة وهم المتّسمون بالكرم والشجاعة، وغيرها من صفات العلاء التي تشفُّ عن سيطرة الرجل على روافد القوة والتأثير. فهم القادة السياسيون، والمنتجُون، والمستشارون، والقادة في الحروب، وأهل العقْد والرّبط، وبيدهم مقاليد الأمور، وهم المرْجع فيما حزب الأمة والمجتمع؛ لهذا اندغمت الصفات الملحقة بهم بالأدوار المتخلّلة مناحي الحياة، ولعل هذا الحضور للرجال ترك رواسمه في مفردات اللغة ودلالاتها[1].

– اصطبغت أكثر الصفات المحمودة في المرأة بمُسْحة جسدية بحت، مما يُفْصح عن رؤى الثقافة للمرأة، فهذه الثقافة أرادت المرأة أُمّاً وزوجة ومعشوقة ولا بدّ لها من مؤونة الجسد لتحقيق هذه الأدوار، وكأنها رهينة الإنجاب والإمتاع.

– احتفى المجتمع بالمرأة المِطْواع، والذلول، والمِذعان، والعاشق، والباهل، والستير، والعطوف، والملازمة لبيتها القائمة على حراسة الهيكل الأسري، وأعلى المخيال الثقافي والاجتماعي من القيم الجمالية لجسد المرأة، فكاد هذا المخيال أن يختزل المرأة في جسد يتوقد إثارة وإنتاجاً، فلا غرو أن تتزاحم الصفات الجسدية للمرأة قَبولاً وذماً، وقد رصدتْ واحدة وسبعين صفة جسدية محمودة للمرأة، وتسعاً وخمسين صفة جسدية مذمومة، فيما توارت الصفات الفاعلة التي تُبرز الحضور النّسْوي في المجتمع[2].

وثمة إلماعة أخرى طاغية في فضاء اللغة وتَعيُّناتها، وهي أنّ الرجل غير معرّف بجنسه، فهو يمثل الإنسان / العام/ الشامل/ المعيار، أما المرأة فهي محدودة الدور والتعريف.

---

(١) ينظر: ص١٥٣–ص١٥٤ من هذه الدراسة.

(٢) ينظر: ص١٤٤-ص١٤٦ من هذه الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التحيُّز في المخْيال الشعبي :

تقوم أهمية التَّمثُّلات الشعبية في أنها مرآة للحِراك الاجتماعي والثقافي، فهي تكشف عن الطبائع المُستَكنّة في المجتمع، وتشفّ عن طرائق التفكير، وفي ثناياها تقبع رواسب الحياة البدائية، والأسطورية، وموروثات الثقافة.

ولعل أظهر التحقّقات الشعبية تكمن في الأمثال، فهي قَنطرة ناجعة للتجارب المتوارثة؛ لما تتّسمْ به من تكثيف لغوي واختزال معنوي، فضلاً على ذلك السيرورة والانتشار، فقيل "أسْير من مثَل"، ووصفتْ بأنها مصابيح الكلم.

أعملت الثقافة مباضعها في الأمثال، وسكبت في أعطافها بعض المسطورات ولا سيّما العلاقة الناظمة للجنسين، مما أفضى إلى ترسيخ معتقدات ثابتة، وقيم أخلاقية متوارثة، فظل الرَجُل في المخْيال الشعبي رديفاً للفحولة والقوة، واختُزِلت المرأة في أطوار حياتها الجنسية، والصفات المحفورة في الذاكرة الجَمْعِية.

إنّ انعقاد الاتفاق على المعتقدات البدائية والأسطورية في الماضي والحاضر، ينبئ عن أهمية المخيال الشعبي في تجذير المفاهيم والأفكار، لهذا لا نلْحظ تغيراً ذا دلالة في التوصيف المُتقادم والحَادِث للجنسين، فحضور الرجل في المِخْيال الشعبي صارخ، متعدّد التحقُّقات، وهو ممتدّ في نسيج الحياة المختلفة، أما المرأة فقد اقترنت بمجموعة من القيم الراتبة حاكت لها ذاتها وطِبَاعَها، وعملت الأمثال على تعزيزها وإلحاقها بذات المرأة، فهي وَفْقاً لهذه الوُجْهَة:

- **جسد ضعيف:** ذُكر في مجمع الأمثال: "النساء لحم على وضم"[1] يُضرب في ضعف النساء وسرعة تأثرهن.

٥٤٩٥٣
All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

---

(١) الميداني: مجمع الأمثال، ١٩/١.

- **عقل ناقص**: قيل: لُبُّ المرأة إلى حمق" [1]يضرب عذراً للمرأة عند الغـيرة وقيل: "ضل حلم امرأة فأين عيناها" [2]. يُضرب في استبعاد عقل الحليم. وقيل: حدّث حديثين امرأة فإنْ لم تفهم فأربعة"[3] يُضرب في سوء السمع والإجابة، وقيل المرأة **شعر طويل وعقل قصير**.

- **ذات كيد**: قيل: كل شيء مهة (يسير) ما خلا النساء وذكرهن"[4] **وقيل كل بليّة سببها وليّة. والمرأة حيَّة من تحت تبن.**

- **ليست أهلاً للمشورة***: قيل: "أنا نذير لكل فتى وثِقَ بامرأة"[5] **وقيل: ما أمْرُ العذراء** في نوى القوم[6]، يُضرب في ترك مشاورة النساء، وقيل: "طاعة النساء ندامة"[7] **واسمع للمره ولا توخذ برايها.**

- **قرينة الشيطان**: وقيل "النساء حبائل الشيطان"[8].

- **مجلبة للعار والهمّ**: قيل: "عار النساء باقٍ"[9]، وقيل: **موت البنات سُتْرة**، وقيل: **صوت حيّة ولا صوت بنيَّة**، وقيل: **إلي بغا العذاب يرافق النسا والكلاب.**

---

(1) الميداني: مجمع الأمثال، 2/199

(2) المصدر نفسه: 1/419.

(3) البكري: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص50.

(4) الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، 2/227.

* قال ابن المقفّع: "اياك ومشاورة النساء، فإنْ رأيهن إلى أفَن، وعزمهن إلى وهن، واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك اياهن، فإنّ شِدَّة الحِجَاب خير لك من الارتياب، ولا تملّكنّ امرأة من الأمر ما جاوز نفسها، فإنّ ذلك أنعم لحالها، وأرخى لبالها، وأدوم لجمالها، وإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة (التي تدبّر شؤون البيت) . ابن قتيبة: عيون الأخبار، 4/78.

(5) الشيبي: تمثال الأمثال، ص315.

(6) الميداني: مجمع الأمثال، 3/ 261.

(7) المصدر نفسه، 2/292.

(8) المصدر نفسه، 3/384.

(9) المصدر نفسه 2/410.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **ضلع أعوج:** قيل: "الضربة للسارية والمعنى للجارية"، والمره بحال السجادة ما تتنظف غير بالخبيط.

- **ليست أهلا للود:** قيل: لا تُسْكِنوا نساءكم الغرف، ولا تُعلِّموهن الكتابة، واستعينوا عليهم بالعُرى، وعودوهن "لا" فإنَّ "نعم" تُجرئهن" [1]. وقيل: المرأة إذا أحبّتك آذتك وإذا بغضتك خانتك"، "ولا تثق بامرأة، ولا تغتر بمال"[2].

اتخذ المِخيال الشعبي إلى جانب الأمثال وسائل شتى لتدعيم مأثوراته، منها النصائح التي اكتسَتْ لَبُوس الحكمة، نحو:

عليكم بالسراري؛ فإنهنَّ مباركات الأرحام ...، ومن سرّه أن يلقى الله طاهرا مَطهرا فليتزوج الحرائر، ... لا تعلموهنَّ الكتابة، وعلموهن المغْزل وسورة النور، ... واتجنبوا المناكح ... ، ومن صبر على سوء خُلُق امرأة أعطاه الله أجر آسية امرأة فرعون، ... وأجيعوا النساء جوعا غير مُضرّ وأعروهن عريا غير مُبْرح، ... "[3] وغيرها من المأثورات التي تسربلت بحُلَة النصائح لتحظى بالقبول والتسليم.

إنَّ هذه المقولات وغيرها أسهمت في تظهير صورة المرأة في المخيال الشعبي، حتى غدتْ هذه الإيحاءات المُسقطة طبيعة لازبة في المرأة تلازمها من ومضة الميلاد، فهي مولود غير مُرحب به، يُستقبل على هُون. وربما ألجأت نظم الاجتماع القديم، والصراع القائم بين القبائل العربية إلى هذا المنزع، إذ إنَّ حياة تلك المجتمعات كانت تعتمد على الكلأ لسيرورة حياتهم، فكان يتعيَن الانتقال إلى حمى يوفّر سُبُل العيش لهم ولمواشيهم، فلجأوا إلى الغزو

---

(١) الميداني: مجمع الأمثال، ٥١/٤.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ١٢٦/٦.

(٣) ينظر: الشوكاني: الفرائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص١١٩-١٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والصراع بين القبائل الأخرى، وكان وقود هذا الصراع الرجال، فاحتفت القبائل بالذكور لما ينتظرهم من مهمات أثيلة لرفعة القبيلة، وتعضيد شوكتها.

أما الإناث فكنّ -في مخيال السابقين- مَجْلَبة للعار والهوان، لأنهنّ يؤخذن أسيرات في الحروب، وهذا ما يَعافُه العربي، لذا ظلت الذكور تحظى بالسؤدد والعلاء وَفْقًا لتقسيم الأدوار التي أقامتها نُظم المجتمع وقيم الثقافة.

وإن كانت تغيرت بعض هذه الرؤى لِتغيُّر المعطيات، إلا أنّ هذا التراتب الاجتماعي للجنسين ظل ثاويا في تلافيف العقلية الاجتماعية؛ لأنّ دور الرجل تمثّل في الإنتاج والتفاعل، فيما ظلت المرأة تمارس هواجسها عبْر أسوار الهيكل المنزلي. وقد عبّر المخيال الشعبي عن ذلك: "**البنت لو قد المخدة تنزل مثل المهدّة**"، "**ويا مخلفة البنات يا رايحة للممات**".

أما الولد فيُستقبل بالحبور والبِشْر، ولو كان أحمق، "قالت إحدى نساء العرب:

لست أبالي أن أكون مُحْمِقة *

إذا رأيت خصْية مُعلّقة"(١)

ويتم ترسيخ التمايز بين الجنسين منذ الصغر، فللأولاد ألعابهم الخاصة بهم كالسيارات، والأسلحة والأقلام، أما البنات فلهنّ أدوات المطبخ والعرائس،وتشير الدراسات النفسية إلى "أنه يسْمح لصغار الأولاد باللعب بعرائس أخواتهم بين حين وآخر، ولكن يحتمل أن يكون الولد موضع سخرية إن تكرَّر ذلك مرات عدة، ولكن البنات قلما يُقدّم لهنّ دُمى السيارات والقطارات، ولا يُشجّعن على القيام بالألعاب الخشنة، وقد يُوصفن بأنهن "مُسْترْجلات" إذا لم يتّبعن الأخذ بالأنشطة الهادئة الرقيقة، أما الأولاد الذين يضيقون بالألعاب الخشنة ويلجأون إلى

---

(١) الفراء: المذكر والمؤنث. ص٦٦. * المُحْمِقة: منجبة الحمقى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القراءة أو العزف على (البيانو) فيُوسمُون بالمخنثين" ...[١] ؛ وفي ذلك ترسيم للأدوار المنوطة بهم في المستقبل.

ويوظّف هذا المخيال القصص والحكايات لتمرير إملاءاته، فنلحظ أن أدوار المغامرة والبطولة والشهامة مقترنة بالذكور، أما أدوار الضعف والتأثر والخوف فتأخذ طابعا أنثويا.

وتقترن الأنثى وفق هذا المخيال بالمنع والحرمة، فلا ينبغي النطق باسمها، إنما يشار إليها بأسلوب النكرة، أو المجهول، نحو:

مره، عيال، بنت، أهل، عقيلة، كريمة فلان، هي. هذه المسميات وغيرها تطلق على الزوجة - في الأغلب-، وكأنّ ذكر اسمها محذور اجتماعي، لذا يتحرّج الأطفال في سنيّ الدراسة من إعلان اسم أمهاتهم للأقران؛ لارتباطها في مخيالهم بالمحَرم والعيب. وتشيع عادة عند بعض النساء أن تُعرّف المرأة نفسها بمدام فلان (زوجها)، أو أن تُضيف اسمها إلى زوجها - تأسّيا بالعرف الغربي- ، وفي ذلك اختزال غير واع لذاتها وكينونتها.

لا تقتصر آثار المخيال الشعبي على هذه التحققات، بل تمتد في نسْغ المجتمع، لتشكيل الرؤى عن الكون والحياة طبقا لتلك الوجهة.

لقد أسهمت عوامل عديدة في خفاء مسألة المذكَر والمؤنث، منها الاسطوري، والاجتماعي، والثقافي، فألقت هذه الموروثات نسْغها في تمثُلات اللغة، فالعلاقة بين الثقافة واللغة علاقة الفاعل بالمُنفعل؛ لذا تتأثر اللغة برواسم الثقافة.

ويسلمنا هذا الملمح إلى أنّ اللغة في (هيُوليتها) محايدة، إذ تُمثل ظاهرة مجرّدة من الحمولات التي قد تلْحق بها من جرّاء المؤثّرات الخارجية، إذن ليس بالمكنة أن نسم العربية بالتحيّز، ثم نهْرع إلى تعديل نظامها اللغوي، فتلك مغالطة منطقية كالذي يضع العربة أمام

---

(١) سوزانا ميلر: سيكولوجية اللعب، ت: حسن عيسى، ص٢٣٠-٢٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحصان؛ لأنّ تعيّنات التحيّز تثوي في تضاعيف الثقافة والمجتمع، لا في جبلّة اللغة، وبالتالي يتعين تعديل الثقافة وقيم المجتمع، لينعكس ذلك على التّحقّقات اللغوية، فحين شاركت المرأة الرّجل في مضارب الحياة، وتجاوزتْ دور حراسة الهيكل المنزلي، أفضى ذلك إلى تعديل المسطورات المصوغة عن المرأة، فأمست زميلة الرجل في مشروع الحياة، وتجلّت اثار هذه الحالة في اللغة، وما عادت وطأة التمييز صارخة كسيرورتها في الماضي.

إنّ غياب المرأة عن بعض التعيّنات الجادّة، أو ضآلة حضورها لا يُعزى إلى اللغة ذاتها، إنما مردّ ذلك للثقافة المتخلّلة نأمات المجتمع، ويقتضي ذلك أن نحُلّ مكانها قيما تتسق وإنسانية الجنسين، حينها يتغيّر الخطاب المُنْجز.

ولعلّ محاولة بسيطة لاستقراء التراكيب المورفولوجية في العربية، تقفنا إلى الطاقات الكامنة فيها، لتنفي عن ذاتها التحيُّز لجنس دون أخر، فالأمر مرهون بمن يوظّف الخطاب لغايات معيّنة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثالث: الخصائص اللغوية للجنسين

- الخصائص الصوتية والنطقية.
- الخصائص النحوية والصرفية.
- الخصائص الدلالية.
- الخصائص الأسلوبية.
- السلوك اللغوي غير اللفظي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لفتت الخصائص اللغوية للجنسين أنظار الدارسين، فراحوا يتتبّعون الظاهرة في لغة الحديث،ووسائل الاتصال غير اللفظية. ووقفوا إلى جملة من السّمات التي تميز لغة الرجل من لغة المرأة.

ولكن هذه الجهود اكتست في البدء لَبوس الانطباع والإشارة، ولم تَستَقِلّ برأسها، فنُثِرتْ في درْج الحديث.

وقد أومضَ علماء العربية قديماً إلى التمايز اللغوي بين الجنسين، ونَلْحَظ ذلك في قول ابن جني حين عرض أسلوب النُّدْبة: "إنّ أكثر من يتكلم بهذا الأسلوب النساء" (١).

وعلّق الباقلاّني على قول امرئ القيس " **لكَ الويلاتُ إنّكَ مُرْجِلي**" بقوله: "وهذا من كلام النساء" (٢).

ولعل التوسُّع في درس التأنيث بمستوياته اللغوية المختلفة ينبئ عن الاحتفاء بهذه الظاهرة، فخصّصت العربية صيَغاً وألفاظاً للنساء وحدَهن، نحو: كَاعِب، حَائِض، حَامل، مُرْضِع، نَاهِد، طالق، ...

"فظاهرة التأنيث صرفياً ونحوياً في اللغة العربية محورها المرأة (في الأصل على الأقل)، وهي ظواهر متشعّبة ومنوّعة، ولكنّها جميعاً تُرَدُّ إلى فكرة واحدة، وهي تَفَرُّد المرأة بنمط من الخطاب اللغوي خاص بها،هو خطاب التأنيث في العربية" (٣).

أما في العصور الحديثة فلم تكن العناية بلغة الجنسين على أيدي اللغويين، إنما نهض بها علماء الإناسة (الأنثروبولوجيا)، فحين عرضوا للشعوب البدائية أشاروا إلى هذه الفروق اللغوية

---

(١) ابن جني: اللمع في العربية، ص١٢.

(٢) الباقلاّني: إعجاز القران، ص٨١.

(٣) كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، ص٢١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للجنسيين، نحو ما قامت به الدراسات في القرن السابع عشر للخلاف اللغوي في مجتمع الهنود الكاريبيين.

وتواصلت هذه الجهود من خلال الإرساليات الأوروبية لشعوب آسيا وإفريقيا.

سجّل علماء الإناسة ملحوظاتهم عن الشعوب الأسيوية والإفريقية، وبعض الشعوب البدائية، ذكر "فريزر (Frazer) في بداية القرن العشرين أنّ بعض الشعوب الإفريقية تحظر على نسائها البوح باسم حميها أو أحد أقاربها الذكور، أو أحد مشتقات هذه الأسماء.

والتفت بعض الباحثين في الإناسة إلى لغة الرجل والمرأة حين درس بعض الشعوب الإفريقية والاسترالية والهنود الأمريكية ... "[1].

ازدادت العناية بالتمايز اللغوي للجنسين حين شارك علماءُ الاجتماع الباحثين في حقل الإناسة، فربطوا بين الخصائص اللغوية ومتغيرات الجنس والمجتمع والبيئة، وأثر ذلك على الكلام. ولم تبقَ هذه الانطباعات نتاج الملاحظة وحسب، بل انبرى العلماء لإجراء الاختبارات وتسجيل الوقائع اللغوية؛ للوقوف إلى الخصائص اللغوية للجنسين، والعلل الكامنة في هذا التباين.

وعلى الرغم مما بذله علماء الإناسة وعلماء الاجتماع من وُكْد في الإشارة إلى موضوع اللغة واختلاف الجنسين، إلا أنّ نهوض الحركات النِّسْوِيَّة أذكى جذوة البحث في الخصائص اللغوية للجنسين، فأُفْرِدَتْ دراسات تُعنى بالمرأة واللغة، وأشكال التحيّز اللغوي وسبل تعديله.

برز من هؤلاء الباحثين والباحثات:

- فان جنكن (Van Genneken): De sociologische structuur der Neder landsche, 1913 ، "بناء علم الاجتماع في هولندا".

---

(١) أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص٧، نقلاً عن:
Japanese Women's Language, by. J.Shibamoto, p.4.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Women's Language, Socialization and Self-image, 1987.

"لغة النساء، المخالطة والصورة الذاتية".

- أن باولز (Anne Pauwels) Women Changing Language, 1998 لغة النساء المتغيرة.

كامرون (Cameron (ed)) (The Feminist Critique of Language, 1998

"النقد النسوي للغة".

وغيرها من الدراسات ...

لقد احتفت اللسانيات الاجتماعية بعامل الجنس متغيراً مستقلاً في السلوك اللغوي، إضافة إلى العامل الاجتماعي، والعامل الاقتصادي، وعامل السن.

في البدء كان الاهتمام منْصبّاً على اختبار المشاعر والعواطف الخاصة بالفرد، سواء كان رجلاً أو امرأة عند الحديث عن الخصائص اللغوية للجنسين، فالعبارات الحدْسية في حديث النساء أو الرجال تومىء إلى اختلافات بينهما على المستوى اللفظي أو التركيبي، أو الدلالي ... ولعل ذلك ما دفع الدارسين إلى اختبار هذه الخصائص المائزة للجنسين وربطها بسياقها.

ولكنْ ثمة مُشْكل اعتاص على الباحثين، هو: هل الاختلافات اللغوية بين الجنسين بمُكْنتها أن تُفْرد لغة/أسلوب للرجل وأخرى للأنثى؟

تباينت آراء الدارسين في ذلك، فمنهم من رفض فكرة الإقرار بلغة للمرأة مُباينة للغة الرجل، "ومن هؤلاء يسبرسن (Jespersen)، إذ عدّ الفروقات اللغوية بين الجنسين خصائص تأتلف في منظومة اللغة، ولا تستقل بذاتها.

ودعا كرامر (Kramer) إلى إجراء بحث عن الإشارات إلى الجنس في اللغة على وجه العموم؛ لمعاينة لغة الرجل ولغة المرأة، ولا سيما أنّ ثمة ملامح في اللغة التقليدية المستعملة محظورة على النساء، وأخرى تتشح بمسْحة أُنثوية، نحو:

lovely, sweet, charming, darling, pretty, nice, cute, precious".[1]

---

(1) The Female World. by Jessie Bernard, PP. 380-382.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ اختلاف لغة الرجل عن لغة المرأة يتناسب تناسباً طردياً والاختلاط القائم بين الجنسين، فالشعوب التي يقل فيها اختلاط الرجال بالنساء، أو يعيش فيها كلا الجنسين بمعزل عن الآخر تحت تأثير نظم دينية أو تقاليد اجتماعية، تَبْرُز فيها لهجة الرجال مباينة للهجة النساء.

"وكلما استحكمت حلقات الانفصال بين الجنسين تكثر مظاهر الاختلاف اللغوي، حتى إنّه لينشأ لكل منهما من جرّاء ذلك -أحياناً- لهجة تختلف اختلافا بيّنا عن لهجة الآخر، أو تحتوي لهجة كل منهما على مفردات وجمل كثيرة لا تُستَخْدم في اللهجة الأخرى، وقد لوحظ ذلك في بعض الشعوب البدائية على الأخص.

وكلما خفّت قيود الاختلاط بين الجنسين يخفّ هذا الاختلاف اللغوي، فتقْتَصر مظاهره على بعض الفروق اليسيرة في الأصوات والمفردات والجمل والأساليب"(١).

وذهب ماكس أدلر Max Adler إلى "أنّ الاختلافات اللغوية بين الرجل والمرأة في بريطانيا كانت في الماضي أكثر؛ لأنّ الحياة الاجتماعية للجنسين كانت مُحافظة ومُغْلَقة، على غير ما هو متحقّق في العصر الراهن" (٢).

تقترن الاختلافات اللغوية بين الجنسين بالمتغيرات الاجتماعية، لذا يمتَح الرجل والمرأة سلوكهم اللغوي من روافد المحيط المرسوم لكل منهما، فيُظهر الرجل نَسَقاً لغوياً ينسجم والمدى المعيش، وتصدُر المرأة في تعيُّناتها اللغوية عن واقعٍ أقل رحابة من الرجل، ولكن يظل رصد التنوعات اللغوية للجنسين ميْسماً للتنوع في أعطاف اللغة.

"إنّ إفراد لغة المرأة يؤكّد فكرة التنوع اللغوي المصاحب لتنوع الأوضاع الاجتماعية، والتمثيل لهذا النوع باختيار لغة المرأة لما تَنْتَظمه من ظواهر تخفى على الكثيرين، وهي في الوقت نفسه تقدم مورداً ثرياً للمهتمين بشؤون المرأة"(٣).

---

(١) على عبد الواحد وافى: اللغة والمجتمع، ص١٨٧.

(2) Sex Differences in Human Speech, by Max Adler, P53.

(٣) كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، ص٢٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تقتصر الدراسات التي عاينت السلوك اللغوي للجنسين على الوصف، بل ربطته بالمتغيرات الفاعلة كالعوامل الاجتماعية والثقافية، بعد أن كانت الفروق بين الجنسين تُعزى إلى العوامل البيولوجية وحسب.

وأظن أنَّ الإلماع إلى بعض الخصائص اللغوية للجنسين مَنْبَأة للتزامل بين اللغوي والاجتماعي. لذا عَرَضْتُ للخصائص اللغوية للجنسين على المستوى الصوتي والنطقي، والمستوى النحوي والصرفي، والمستوى الدلالي، والمستوى الأسلوبي، وقفلتُ ذلك بالسلوك اللغوي غير اللفظي.

وقد اقتفيتُ أسلوب "تحليل المضمون" في جمع المادة، إذ إنَّ هذا الأسلوب يقوم على أساس أنَّ السلوك اللغوي هو نوع من السلوك الإنساني، وبالتالي فهو تعبير عن حدث ما *.

وراوحت في رصد الخصائص اللغوية للجنسين بين ثلاثة أنواع من تحليل المضمون.

١. التحليل الكمي الذي يعتمد على القياس والإحصاء باستخدام الأرقام، وقياس التَّكْرَار، مما يعكس درجة الاهتمام بفكرة ما.
٢. والتحليل النوعي: الذي يقوم على أساس البحث عن وجود صفة معينة أو عدم وجودها.
٣. التحليل الكيفي: الذي لا يعتمد على القياس والإحصاء بل يقوم على انطباعات المحلِّل واستنتاجاته عن المادة.

وقد صدرتُ في هذه الدراسة عن الافتراضات التي قرَّرها الباحثون والباحثات حين درسوا السلوك اللغوي للجنسين.

* للاستزادة: ينظر: ناتاليا بريمو: معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة توفيق سلّوم، ص٥٦ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخصائص الصوتية والنطقية:

يقف الباحث في السلوك اللغوي للجنسين غلى جملة من السمات الصوتية والنطقية تميز الرجال من النساء، منها:

أنّ النساء لديهن مجال واسع في القدرة على الترنيم باستخدام مستوى عال من طبقات الصوت الذي يتجنبه الرجال عادة، وهذا المستوى من طبقات الصوت يمكن أن يكون مصحوبا بتعبير عاطفي، مثل السؤال التابع في نهاية الجملة.

- تتفوق البنات في استخدام الخصائص الصوتية فوق التركيبية (كالتنغيم، والنغمة)، ويُلحظ ذلك جلياً حين يسْرُد ولد أوبنت قصة ما، فالبنت توظّف التلوينات الصوتية في سردها أكثر من الولد.

- الإناث يستعملْن أنماطاً من التنغيم/تنغيم الجملة تزيد عما يستعمله الذكور، ويُلفَ تنغيم المرأة غلالة من العاطفة واللين، لذا تبدو أصوات الإناث أكثر موسيقية وإيضاحا من أصوات الذكور.

- النساء يتكلمن بطبقة صوتية عالية ورفيعة تتشابه مع الطبقة الصوتية عند الأطفال، فالنساء والأطفال أحدُّ أصواتاً من الرجال؛ " لأنّ الوترين الصوتيين للأطفال والنساء أقصر، وأقل ضخامة*، ويؤدي هذا إلى زيادة في سرعتهما وعدد ذبذباتهما في الثانية"[1].

(*) يتراوح طول كل من الوترين الصوتيين حوالي ٩ ١/ ٢مم، وعند تمام البلوغ يتراوح الوتر عند الذكر بين ١٧و٢٣ مم، وعند الأنثى من ١٢ ١/ ٢ إلى ١٧ مم. ويتميز تكوين الوترين الصوتيين عند الأنثى باشتماله على كمية أقل من الأنسجة العصبية والعضلية والدهنية، ومن ثم يكونان من حيث الطول والعرض أقل من وتري الذكور...

ينظر: سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، ص٢١٨.

(١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وتتراوح تردد نغمة الأساس عند الذكر العادي ما بين ١٠٠ و ٢٠٠ ذبذبة في الثانية، ويزيد تردد نغمة الأنثى العادية على ذلك بطبقة موسيقية واحدة One Octave ؛ أي يكون ضعف تردد نغمة الأساس عند الذكر، ويبلغ المعدل النمطي لتردد صوت الذكر ١٢٠ ذبذبة في الثانية، وصوت الأنثى ٢٢٠ ذبذبة في الثانية"(١).

- تستخدم المرأة النبرة الخافضة لأنها بلا قوة، وبالتالي أكثر ضعفاً، وتظهر اهتماماً عن طريق سؤالها ومقاطعتها. وتظهر طلاقة أكثر من الرجل.

فقد أُجريَتْ دراسة لإنتاج الكلام للرجل والمرأة، وخَلُصَتْ إلى أنَّ: المرأة تنتج 1.68 كلمة في الثانية عندما تتكلم مع رجل، و 2.43 كلمة في الثانية حين تتحدث مع امرأة، أما الرجل فينتج 2.13 كلمة في الثانية حين يتحدث مع رجل و 2.02 كلمة في الثانية حين يتحدث مع امرأة"(٢).

- النساء أميل إلى اتباع طريقة النطق الحديث، فقد انتهى (جوشات) في دراسته للفروق الصوتية بين أفراد الجماعة اللغوية التي تضم المنطقة الفرنسية في سويسرا إلى أنَّ النساء أشدّ اتباعاً لطريقة النطق الحديث، ودفعه ذلك ليقرر أنَّ دور المرأة في التطور الصوتي، أكبر خطراً من دور الرجل، وعلّلَ ذلك بأنَّ النساء لا يعشن جيلهن وحسب، بل يشاطرن الأجيال الناشئة حياتهم كذلك، فهنَّ أكثر من الرجال صلة بالطفل والفتى، والأمر على العكس من ذلك للرجال؛ إذ إنَّ مجال نشاطهم هو المصنع أو المزرعة أو المكتب، حيث يشاركهم هذا النشاط سواهم ممن يماثلونهم في السن.

---

(١) سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، ص٢١٨.

(٢) Hesitany in Female and Male Speech, by Lia Brekweg, p184.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومعنى ذلك أنَّ البيئة اللغوية للمرأة بيئة الجيل الناشئ، أما البيئة اللغوية للرجل فهي بيئة الشباب والكهول"[١].

وتُلْحَظُ هذه الظاهرة بين الطالبات في الجامعات، حيث تميل الطالبات - حتى أولئك القادمات من بيئات قروية أو بدوية - إلى اتباع لغة أهل المدن، فيرقِّقن الأصوات وينطقن القاف همزة،إلى غيرها من الظواهر الصوتية الشائعة بين أهل المدن؛ ظَنّاً منهن أنَّ ذلك أقرب إلى التحضر والرُّقي.

وقد أُجريتْ دراسة لبيان الوظيفة الاجتماعية في التنوع اللغوي، واتخذت الدراسة لهجة عمّان عينة ممثِّلة، وخَلُصَتْ إلى أنَّ: المرأة في اللهجة الأردنية تحرص على لفظ /ق/ رمزاً للدَّرْجة والرتبة الاجتماعية (البرستيج). ويميل الرجال إلى نطق [ق] "g " كنطق الجيم القاهرية؛ لأنهم يعدّون ذلك أصلب، وأكثر رجولة.

ويتجنَّب بعض المراهقين الأردنيين المظاهر الأنثوية مثل /ء/ بدلاً من /ق / ويعدُّونها لغة مخنَّثة، ويفضل هؤلاء أن يستخدموا المظاهر الذكورية التي منها [ج] بدلاً من [ق] /ك/ لشعورهم أنها مناسبة للهوية الذكورية"[٢].

وترى كامرون (Cameron) "أنَّ الرغبة في التميُّز لدى النساء يدفعهن إلى ترقيق أصواتهن وليست عوامل فسيولوجية"[٣].

-تميل المرأة إلى ترقيق الأصوات غالباً، ولا سيما أصوات الإطباق (ص، ض، ط، ظ) وهذه الأصوات لا تظهر قيمتها الدلالية إلا بالتفخيم، بَيْدَ أنَّ المرأة تنزع في نطقها إلى الترقيق،

---

(١) يسبرسن: اللغة بين الفرد والمجتمع، ص٣٦.

(٢) Social Functions of Language Variation, by Hassan Abd-El-Jawad Al-Abhath. American University of Beirut. 1986, PP 22-26.

(٣)Feminism and Linguistic Theory, by Cameron, p 52.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-تميل المرأة إلى ترقيق الأصوات غالباً، ولا سيما أصوات الإطبـــاق (ص، ض، ط، ظ) وهذه الأصوات لا تظهر قيمتها الدلالية إلا بالتفخيم، بيْد أنّ المرأة تنزع في نطقها إلى الـــترقيق، فتشْرب الطاء تاء، والظاء دالاً أو زاياً، والصاد سيناً، وتَنْطُق الراء المفخمة كالراء المرققة أخـــذاً بالدُّرْجة.

-يميل بعض الرجال والمراهقين الذكور في الأصوات الشفوية والأصوات الأنفيـــة إلـــى النطق من الأنف؛ لاعتقاد هؤلاء أنّ هذا النطق أكثر حزماً وخشونة.

وفي لغة التودُّد والغزل تَبْرُز الأصوات الخفيفة والأنفية عند الذكور والأصوات الشـــفوية، وأصوات القهقهة تُسْمع من الإناث. وتتميز أصوات الذكور من الإناث عنـــد ممارســـة التقليـــد الازدرائي.

- يكثر في حديث النساء الأصوات الحشْوية أو المطاطية، نحـــو : م م، هـــــ م م، أ أ ه، لإظهار الاهتمام بحديث المتكلم والتفاعل معه.

وترى هيرشمان (Hirshman) "أنّ النساء يؤكّدن الدعم والانتباه والموافقة مـــن خـــلال استخدام hmm, hm, mm ، وهذه الخصائص لوحظت في الحديث الأنثوي-الأنثوي أكثر مـــن الحديث الأنثوي-الذكري"[1].

- يميل الأطفال الذكور إلى التنغيم الهابط والمستوى أكثر من الصـــاعد، ولكـــنّ البنـــات يوظفن التنغيم الصاعد أكثر من التنغيم المستوي والهابط.

- تتفوق البنات على البنين في الطلاقة اللغوية والتهجّي في بعض المراحل العمريـــة، إلا أنّ الفرق سرعان ما يتضاءل في سن ٧٢ شهراً.

---

(1)The Female World, by Jessie Bernard, P 379.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ويشير ميلر (Miller) إلى أنّه في معظم مستويات الأعمار كان كلام الذكور أقل وضوحاً، وتكون نسبة الكلمات المفهومة في سن سنة ونصف ٣٨% لدى البنات في حين تبلغ ١٤% لدى الذكور.

وتصل البنات إلى مرحلة السيطرة على الأصوات في عمر السادسة والنصف، في حين يبلغ الأولاد ذلك في السابعة والنصف ..."[١].

ولعل مَرْجِع ذلك يعود إلى أنّ الأولاد أكثر ارتباطاً بالألعاب الساكنة كالمكعبات والسيارات، والأسلحة، ... وغيرها من الألعاب التي لا تحمل قيمة حوارية، فيما ترتبط البنات بالعرائس وأدوات المطبخ، وهذه الألعاب تنطوي على قيم حوارية عالية[٢].

يضاف إلى ذلك أنّ البنات أكثر توحداً مع أمهاتهن، فالتواصل والحوار يكون أكثر وضوحاً وحرية من الأولاد الذين يَتَوَحَّدون مع أبائهم الذين يرتبطون بمهنهم، فيقِلّ التواصل والاختلاط مع أبنائهم.

(١) ينظر: صباح حنا هرمز: الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها، ص٥٥ – وما بعدها.

(٢) ينظر: أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص١٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخصائص النحوية والصرفية:

تميل المرأة إلى البناء النموذجي للتركيب والأسئلة القصيرة التي تظهر النبرة التساؤلية عند تأكيد شيء، نحو: أليس كذلك؟ هل توافقني؟ هذا هو النهج الصحيح، أم لا؟ ...

وتتطلع المرأة من استخدام السؤال القصير Tag question لبث المعنى دون مخاطرة كبيرة.

وتفترض روبين لاكوف (Robin Lakoff) "أنّ استخدام المرأة للسؤال القصير يعكس شخصيتها وهو جزء من عدم أخذ المرأة على محمل الجّد؛ لأنّ مثل هذا الاستخدام للسؤال يؤكد أنها لا تستطيع أنْ تصدر قراراً، وبالتالي عدم الثقة بها لتحمّل المسؤولية.. "[1].

وتتّسم الأسئلة القصيرة ببعض الخصائص، منها: أنها تُشتق من أي جملة مثبتة أو منفية بشرط أن تصرح العبارة برأي المتكلم، وهي أو هو لديه السبب لأنْ نكون غير متأكدين من رأيه"[2].

ويبدو أنّ استخدام الأسئلة القصيرة بتنغيم صاعد مظهر من مظاهر تأدب المرأة، وترك الحديث مُشْرعاً.

- تُكثرْ بعض النساء في أحاديثهن من الضمائر: أنا، لي، أنت/أنتَ، لك/لك، نحن/لنا، مما يضفي تفاعلاً وتواصلاً على الحديث، فالمرأة تظهر اندماجاً أكثر من الرجل، وتتوجه بحديثها للمخاطب/ة أكثر من الرجل.

- تُقلّل المرأة من التراكيب الدالة على الأمر لطلب فعل ما، فهي أمْيل إلى استخدام الأسلوب المؤدّب الذي لا يثير نَحيزة المخاطب، فيشيع في حديثها: إذا تكرّمت أغلق الباب، من

(1) The Feminist Critique of Language, by Deborah Cameron (ed), p 246.

(2) Women's Language, p 176.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فضلك عمل كذا، إذا سمحت ... ، وتَستَخدم لوازم سابقة للطلب مع من تربطها بهم علاقة حميمة، نحو: يا عزيزي/ يا حبيبي/ يا نور عيني/ يا روحي، تريد كذا ...

- تَكْثُر في لغة المرأة التراكيب الشكلية Modal التي تشير إلى أنواع الحديث، والإمكانات والاحتمالات، والشك في الأحداث التي وقعت أو التي سوف تقع، فيستعملن كلمات، مثل: أظن، يتهيأ لي، أتصوّر، أتوقع، يمكن، يُحتَمل ...، وهنّ يستعملن هذه الكلمات كثيراً؛ لإظهار الغموض وعدم الجزم"[1].

- تميل المرأة في حديثها إلى الألفاظ المدعّمَة والمبالغة لتَعْضُد فكرتها، نحو: رائع كثير، كبير، أبداً، جداً، مطلقاً، هائل، تماماً، ...

- تستخدم المرأة الأسماء أكثر من استخدام الأفعال، فهي تميل إلى استخدام الأحداث ذات المسند الوصفي، فيما يميل الذكور إلى استخدام الأفعال بكثرة.

"ويُعلِّل بعض الدارسين أنّ التفاوت في استخدام الأفعال والأسماء مآله إلى طبيعة الجنس، فالتعبير بالأحداث يفضي إلى سيطرة فاعلة، أما التعبير بالأسماء فيعني قبولاً والتزاماً.

وينسحب ذلك على استخدام المرأة للأفعال اللازمة والسكونية، في حين يميل الرجل إلى الأفعال المتعدية المتضمنة حركة ونشاطاً، لأنّ الرجل ينحو إلى الفعل والسيطرة"[2].

- تستخدم المرأة جمل التعجب، والجمل الاعتراضية، والأدوات والحروف أكثر من الرجل فيشيع في حديث المرأة استخدام: حقاً، صِدقاً، فِعْلاً، فِعْلياً، ما أروعه! ما أجملها !، (ما أفظعها)!، ما ألذها!...

---

(١)Male and Female Language, by key, P. 75.

(٢) أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص١١١، نقلاً عن:
Language, the Sexes and Society, by Philip, Smith, p53.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه أساليب مائلة، أو مُكمّلة لا معنى لها كما يقرر اللغويون، إذ إنّ الجمل الاعتراضية والمكمّلات (التي ليس لها دور وظيفي فيما يخص المحتوى) تُضعف حقيقة الشيء المراد بثّه. ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ هذه الأساليب تُحدّد وظيفة اجتماعية (كالسياق، والإقناع والتنوع..) وتربط بين المتكلم والمخاطب، فحين نسمع في الإنجليزية هاتين الجملتين:

One- Oh dear, ...

Two- Shit, You've, ...

فمن المتوقع أن نصنّف الجملة الأولى بأنها لغة امرأة، والجملة الثانية ... Shit, You've, لغة رجل*، ولو استخدمت المرأة الجملة الثانية لاستهجن المستمعون ذلك، ونعتوها بالمسترْجِلة"[1].

وأحسب أنّ انتحاء المرأة للصفات الدالة على قوة العاطفة يُلمِحُ إلى مزيد من تأكيد الفكرة والتأثير في المستمعين/المستمعات، لذا تتكرر ألفاظ المجاملة والمبالغة، مثل: فظيع، رائع، حبّاب/ حبّوبة، زين/زينة، ياخذ العقل، حلُو، جذّاب، جميل، لطيف، لذيذ، فنّان، فاتن، (يهوس)، (يجنّن) وأحياناً تستبدل (شو) بما التعجبية للتعبير عن التفاعل مع الحدث.

- المرأة أكثر استخداماً للجمل المفتوحة غير المُكتملة والمتردّدة وغير المحددة، فهن يقفزن من جملة إلى أخرى دون وضع نهاية لجملهن، لذا يتسم كلام المرأة بالتنوع وتراسل الأفكار، أكثر من حديث الرجل الذي يميل إلى التحديد والتكثيف وحصر الموضوعات.

(*) يُلحظ أنّ تعبيرات الدعاء القوية كالتذمر والسخط والشُباب موقوفة على الرجال ، أما التعبيرات الضعيفة فهي للنساء، ويمكن أن نتساءل ماذا نعني بأقوى، وأضعف إذا كانت هذه الحروف (حروف التعجب أو صيغه) بالفعل لا معنى لها؟.

إنّ الفرق بين استخدام shit (سُحقاً) أو damn (اللعنة)، أو واحدة من عبارات الشتيمة الأخرى، وبين يا عزيزي، أو يا إلهي، ... يكمن في قوة التعبير عن الشعور لذلك يمكن القول إنّ لختيار أداة أو عبارة التعجب، أو السخط، عائد إلى أي مدى يسمح الشخص لنفسه أن ينفعل لموقف ما.

* See: The Feminist Critique of Language, p 245.

(1) Ibid, p246.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترى لاكوف (Lakoff) "أنَّ كلام المرأة يبدو أكثر تأدباً من كلام الرجل، وأحد معالم التأدب في الكلام ترك النقاش مفتوحاً، وعدم فرض الرأي أو الفكرة"[1].

وثمة تعليل آخر "أنَّ الجمل المفتوحة نتاج القلق والاضطراب وعدم الثقة لدى المرأة"[2].

(١) The Feminist Critique of Language, p 247.

(٢) Women's Language, p 142.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخصائص الدلالية:

تنهج المرأة في سلوكها اللغوي سُبُلاً تمنحها الاحترام والتقدير، لذا تميل إلى اتّباع العُرف اللغوي والاجتماعي.

أما الرجل فهو أكثر خروجاً على القارّ، وأقل التزاماً بالمسطورات الاجتماعية. "فالمجتمع يفرض على الرجل والمرأة أدواراً اجتماعية بأعيانها، ويتوقع منهما أن يسلكا طريقاً مرسوماً يختلف عن الآخر. ويمكن القول: إنّ اللغة تعكس هذه الحقيقة الاجتماعية ذاتها، فحديث أو (كلام) الرجل والمرأة لا يختلفان وحسب، بل إنّ كلام المرأة أفضل اجتماعياً من لغة المرجل، وهذا يعكس الحقيقة الاجتماعية التي تنتظر من المرأة سلوكاً اجتماعياً أرقى من الرجل يتسق ودورها المرسوم"[1].

- تنأى المرأة عن الاقتراب من الألفاظ ذات الدلالة النابية أو الجارحة، وتفضّل التلميح أو الإيماء، إذا اضطرها الموقف.

يذكر هدسون (Hudson): "أنّ النساء تميل نحو استخدام التعبيرات ذات المكانة الاجتماعية الراقية أكثر من الذكور الذين ينتمون إلى الخلفية الاجتماعية نفسها، وهي نتيجة لميل النساء إلى اتخاذ مواقف أكثر إيجابية تجاه اللهجة المتواضع عليها"[2].

ويُلحظ أنّ المرأة أقل تلفظاً بالكلمات الدالة على أجزاء معينة من الجسم كالفخذ، والقفا، والثدي، والأعضاء التناسلية للجنسين ...، أما الرجل فلا يأنف من ذكر تلك الألفاظ صراحة.

ولعل ذلك ينسجم مع التنشئة الاجتماعية للذكر والأنثى، فسلوك الأنثى مشروط بهالة من المحرّمات (Taboo) يجب مراعاتها، أما الذكر فله فضاؤه الذي يمنحه حرية وجرأة.

---

(١) محمود أبو زيد: اللغة بين الثقافة والمجتمع، ص١٨٦.

(٢) هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ص١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- يحرص الرجل حين يخاطب المرأة على انتقاء الكلمات التي تصطبغ بدلالة الاحترام ومراعاة كرامة المرأة، لذا يتجنّب الألفاظ غير اللائقة أو تلك التراكيب التي تحتمل تفسيرات متعددة.

ويتردد الرجل في تداول النكات البذيئة، أو السُّباب الجارح على مسَمع من النساء.

- تتفوق المرأة على الرجل في وصف الحالة "فالرجل والمرأة قد ينظران إلى حائط له ظلال زهري، فيصفه الرجل بأنه أحمر فاتح. أما المرأة فتنعته بأنه: بنفسجي زاه"(١).

- تميل المرأة إلى الألفاظ السهلة واللَّيِّنة المأخَذ، أما الرجل فيُشْرِب حديثه ألفاظاً صعبة ومعقَّدة، وقد يعود ذلك إلى أنّ المرأة تبتغي التأثير والتواصل مع المخاطبين/المخاطبات، أما الرجل فهو أمْيَل إلى استعراض معارفه وإبداء تفوقه.

- يتحدث بعض الرجال في كلامهم غير الرسمي عن الموضوعات المجرّدة والتقنية والرياضية وعن أعماله ومشروعاته ...، وتُفَضّل بعض النساء التحدث عن العائلة والأصدقاء والصديقات، والأمور البيتية، وبعض الطقوس الاجتماعية،...

- تحمل بعض الألفاظ دلالة مغايرة فيما لو أطلقت على أحد الجنسين، فالسَّيِّد هو الرجل المحترم، أما السيّدة: فهي المرأة المتزوجة.

- ابن شارع: غير المؤدّب. - بنت شارع: لقيطة، أو مومس.

- وقع الرجل: تعثّر، أو أصيب بمكروه. - وقعت المرأة: أي سقطت في الرذيلة.

وغيرها من الألفاظ التي تكتسي غِلاَلة من ثقافة المجتمع السائدة.

تَميز المرأة الألوان ميْزاً دقيقاً أكثر من الرجل، فتشيع على ألسنة النساء - وخاصة المتطلعات نحو الدَّرجة - ألوان: الأحمر، والعِنّابي، (الموف)، والبصلي، والكمّوني، الفوشي،

---

(1)The Feminist Critique of Language, p 244.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأرجواني، والبيج، والطحيني، والكستنائي، والسُكَري، والنِّيلــي، والتِرْكــواز، والرَّصاصــي، والشمّامي، والذَهبي، والكريمي، واللازَوَرْدِي، ...

أما الرجال فيميلون إلى المقاربة في الألوان، وتتردد لديهم ألوان بأعيانهــا: كــالأبيض، والأزرق، والأخضر، والأسود، والكحلي، والبُنّي، والسَكَنِي، ...

ويعزو بعض الرجال اهتمام المرأة بالتفريق بين الألوان إلى سذاجة المرأة وتفاهــة هــذا الصنيع، فلا يُتَوقّع من المرأة أنْ تَتّخذ قرارات في الأمور المهمــة لــذا تنشــغل بتســمية هــذا أرجواني، وذاك فيروزي.

وقد اتفقَ على أنّ هذا التفاوت الكلامي يوحي إلى التفرقة الاجتماعية، فلا يستطيع أحد أن يضع التشريعات ضد استخدام بنفسجي وعنابي من قِبل النساء أو إجبار الرجال على استخدامها.

ذكرت لاكوف (Lakoff): "أنها سمعتْ رجلاً يضحك ضحكات متتالية؛ لاستماعه نقاشــاً بين شخصين حول غلاف الكتاب إن كان بنفسجياً أو عنابياً، فالرجل يرى أنّ هذا الحوار مُسَــلٍ، لأنّ الانكباب على الأمور التافهة مضيعة للوقت" (١).

وأرى أنّ ارتباط المرأة بالألوان مَبْعَثُه شغف المرأة بالأناقة والزينــة؛ لأنّ اللبــاس لغــة مُعَضِّدة للسلوك الكلامي، فالمرأة أميل إلى التفاصيل الدقيقة رغبة في التميُّــز، وطلبــاً للحَظْــوَة والقَبول.

أما الرجل فإنّه ينحاز إلى المحافظة في ألوانه ولباسه؛ لئلا يوسم بالأنوثة أو التخنُث، وإنْ كانت هذه القيم آخذة بالتضاؤل مع تسارع (التقليعات)، وتنافس دور الأزياء على كسر المــألوف والرتيب.

---

(١) See: The Feminist Critique of Language, p 244.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخصائص الأسلوبية:

- تستخدم المرأة في لغتها جُمَلاً قصيرة، وأقل تعقيداً، ويميل الرجل إلى الجمل الطويلة التي تنطوي على التعقيد والتجريد والافتراض؛ ليتمكن من السيطرة على الكلام ولفت الأنظار.

وتعزو فيرجينا وولف (F.Woolf) الجمل البسيطة لدى المرأة إلى "أنّ شكل الجملة لا يناسب المرأة؛ لأنّ الجُمل من صنع الرجال، وهي جمل ثقيلة جداً، مُتَشَدِّقَة لا تصلح لاستخدام المرأة. إنّ الجمل هي فعلياً صناعة رجل، فلا تستطيع المرأة أنْ تُكَيِّف أفكارها وخلجاتها في لغة صِيغَت وَفْقاً لحاجات الذكر"(١).

- يغلب على أسلوب المرأة التّكرار والمؤكّدات والمكثّفات، وتقلّل من الحَلِف والمُزاح والكلمات العدائية، ولديها استعداد لتغيير أقوالها والتراجع عن كلامها، لذا تبدو المرأة في حديثها متواضعة وليست مُتَطَفِّلة، ولا ترغب في أنْ تستأثر بالحديث.

أما الرجل فيميل إلى التكثيف، والتنافس، وينحو إلى اللغة الشارحة إذا كان يخاطب أنثى، ولكنه لا يصبر على الاستماع لشروح الأنثى؛ لأنه يَعُدّ شرحها ثرثرة ولغواً.

- تنفرد المرأة بِعِبارات خاصة بها لا يستخدمها الرجل، نحو:

يا وَرَدِي، (يا خيستي)، يا حُوستي، يا ويلتي، يا مصيبتي، يا شِينتي، يا خيبتي، يا بَعِد كبدي (تلفظها البدوية يا بَعِد شَبِدِي)، يا ميمتي، يا سَنَدِي، اسم الله حارسك، حوطُك بالله (أحاطك الله)، حوّطتك بياسين، ...

وهذه الأساليب تُضفي على حديث المرأة حميميّة، وتضامناً.

---

(١)The Gendered Sentence, by Sara Mills, PP 66 – 67.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- تُكْثِر المرأة من أساليب التأدُّب والاعتذار، فهي تحترم مستمعيها، وتُصْغِي إلى أقوالهم باهتمام، وتقلّل من المقاطعة، أو تسفيه الأراء، وتُظْهِرُ اندماجاً أكثر مع متحدثيها.

وهي تثمّن الذوق، وتطلب الإذن للحديث حين تتأكد من أنَّ الجميع قد أتم حديثه؛ لذا تَشِيع على لسانها عبارات: إنه يؤسفني أن أقول ...، من غير مؤاخذة، آسفة للمقاطعة، عفواً للتدخل، اسمح/ ي لي أن أبدي رأياً، أرجو التكرُّم بالحديث، ...

"أجرى غاس وفارونيس (Gass and Varonis) دراسة لمعاينة الحوار بين الجنسين، اختار الباحثان لدراستهما عشرين يابانياً يتعلمون الإنجليزية. وُزِّعَ الطلاب في أزواج متقابلة (ذكر / أنثى)، لم يحدّد الباحثان نوْع الحوار ومدته، بل تركاه مُشْرَعاً. خَلُصَتْ الدراسة إلى: أنَّ هناك فروقاً بين الرجال والنساء في المشاركة، ومدة الحوار، وسيطرة كل منهما على توجيه الحديث والتأثير فيه.

وعقّب الباحثان أنَّ النتائج تُشير إلى أنَّ الذكور والإناث يستخدمون الحوار والنقاش بطريقة مختلفة، فالذكور ينتهزون الفرصة لينتجوا قَدْرَاً أكبر من المخرجات الشاملة، فيما تستخدم النساء الحوار للحصول على قَدْر أكبر من المُدْخَلات الشاملة"[1].

- تبدو المرأة في حديثها الرسمي أكثر تردداً من الرجل، "وقد أُجرِيَتْ دراسة لبحث التردد في كلام المرأة والرجل. صدرتْ هذه الدراسة عن فرضية روبين لاكوف: "أنَّ المرأة تتردد وتستخدم أسلوباً أقل حزماً من الرجل".

مَيَّزت الدراسة أربع مجموعات للكلام المتردد:

i- السؤال القصير: ويعني عدم التأكد في بعض الحالات، وعدم التأكد من رأي مسموح، ولكن هناك حالات يكون عدم التأكد غير مسموح به أو غير مشروع.

(١) Gender Differences and Second Language Acquisition, by Ali Shehadeh, Research Journal of Aleppo University, PP 76-77.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ii- الأفعال الظنية (التَجَنُبِيّة)، نحو: أفكر، أظن، أتوقع.

iii- الاحتمالات، نحو: ربما، على الأرجح، شيء من هذا القبيل، وهذا الأسلوب يضعف المحتوى الخاص بالمعنى للكلمة أو للتعبير.

iv- المُكمِّلات: وهي الكلمات أو التعبيرات التي ليس لها عمل وظيفي يدعم المحتوى. مثل: أنا أقصد، ما أريد قوله، آه ، ... "[1].

إنّ تفسير صمت المرأة في الحديث أمر صعب، ولكن يُتَوقّع أنّ المرأة في الحديث الرسمي تكون في موقف مزدوج مما يسبب لها التردد في الحديث، "فإذا تكلمت بأسلوب امرأة، أحست أنّ ذلك لا يتناسب والأسلوب الرسمي، وإذا تحدثت بالأسلوب النموذجي/المعياري، قيل لها هذا لا ينسجم مع أسلوب المرأة في الكلام"[2].

التردد في كلام الجنسين:

أثرتُ أن أتحقق من التردد في حديث الجنسين؛ لظني أنّ صور التردد في كلام الذكر والأنثى ليس مبعثها التفوق الجوهري للرجال، أو الضعف المركوز في ذات النساء، إنما تنبئ هذه الصور عن توليفة اجتماعية ثقافية تركتْ إملاءاتها في ذوات الرجال والنساء.

حاولتُ اختبار الكلام المتردّد للذكر والأنثى، فاخترتُ عشرة رجال وعشر نساء تتراوح أعمارهم بين العشرين سنة والثلاثين.

- فرضيات الدراسة:

اقتصرتُ على حُزْمَة من الفرضيات أرى أنّ لها سيرورة بين الأفراد عن حديث الذكر والأنثى، ينضاف إلى ذلك أنّ كثيراً من الدراسات التي عُنيتْ بالسلوك اللغوي للجنسين أطبقت على تداولها، من هذه الفرضيات:

---

(١)Women's Language, p p 176-178.

(٢) Ibid, p 151.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أنَّ الفرق في الجنس يأخذ أدواراً مختلفة في الحديث، ولا سيَّما الحديث المختلط بين الجنسين.
- يكتنف حديث المرأة مبالغات ومكثفات وتوكيدات أكثر من الرجل.
- تتعرض المرأة للمقاطعة في المحادثات التي تكون وجهاً لوجه.
- تميل المرأة إلى التكرار، وتراوح حول الفكرة الواحدة.
- المرأة أكثر ثرثرة من الرجل، وتُنتِجُ قدْراً أكبر من الكلام في الحديث غير الرسمي.
- تستعمل المرأة الأفعال الظنّية (التَّجَنُّبِيَّة) أكثر من الرجل.

- **منهج الدراسة:** اعتمدتُ منهج تحليل المحتوى Content Analysis؛ لأنه منهج ملائم لهذا النوع من الدراسات.

- **عينة الدراسة:** تم اختيار العينة عشوائياً، مع مراعاة متغيرات:
  ١. جنس المتكلم. ذكر/أنثى.
  ٢. أسلوب الحديث. رسمي/غير رسمي.
  ٣. جنس المخاطب. ذكر/أنثى.

- **الأسلوب الإحصائي:** مِلْتُ إلى احتساب التَّكرار، ثم حصر النسبة المئوية لمجموع التكرار من المجموع الكلي لكل أسلوب.

قمتُ بتعزيز **الصدق والثبات** بوساطة اختيار العينة عشوائياً، وعرض أنموذج الدراسة على مختصين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد تحليل الأداء انتهيتُ إلى جملة من المعطيات:

الكلام المتردّد	المتغيـــــرات			
	المحادثة	الأسلوب		مجموع الأسلوبين
	جنس المتكلم/المخاطب	غير الرسمي	الرسمي	
الاحتمالات	رجل مع رجل	٢,٣٦	١,٣٧	٣,٧٣
	رجل مع امرأة	٠,٧٢	٢,٨٢	٣,٥٨
	امرأة مع امرأة	٨,٤٣	٦,٦٢	١٥,٠٥
	امرأة مع رجل	٦,٥٦	١٠,٦٧	١٧,٢٣
المقاطعات	رجل مع رجل	٣,٦٥	٢,٨٥	٦,٥٠
	رجل مع امرأة	٥,٧١	٣,٨٠	٩,٥١
	امرأة مع امرأة	٦,٥٥	٤,١٩	١٠,٧٤
	امرأة مع رجل	٣,١٣	٢,١	٥,١٤
المكمّلات	رجل مع رجل	٨,٢٧	٦,٣١	١٤,٥٨
	رجل مع امرأة	٦,٢٨	٨,١١	١٤,٣٩
	امرأة مع امرأة	١٣,٨٤	٨,٣٢	٢٢,١٦
	امرأة مع رجل	٩,١٨	٧,٢٥	١٦,٤٣
التكرار	رجل مع رجل	٥,٢٦	١,٢٣	٦,٤٦
	رجل مع امرأة	٩,٩٢	٥,٣٩	١٥,٣١
	امرأة مع امرأة	٧,٦٥	٥,٢٢	١٢,٨٧
	امرأة مع رجل	٤,٩٦	٧,٥١	١٢,٤٧

مما لاحظتُه في هذه الدراسة:

- أنَّ الرجال أمْيَل إلى القطع في حديثهم، ويستأثرون بمدة أطول.
- أنَّ الرجال والنساء يُنتِجون كلاماً متردداً في الأسلوب الرسمي.
- أنَّ النساء أقل مقاطعة من الرجل، ولا سيَما في الأسلوب الرسمي.
- يأخذ الرجال فرصاً أكبر في المبادرات الكلامية والتصحيحات فيما يُطرح.
- كانت النساء مساندات ومؤيدات في أحاديثهم مع الرجال، وأَخَذْنَ المبادرة بالبناء على ما ذُكِر.
- مالت النساء إلى القفز في الموضوعات، وخاصة في حديث النساء إلى مثيلاتهنَّ، وخصَّصنَ وقتاً أطول للحديث عن الأمور الشخصية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- انتهتْ بعض الدراسات إلى أنَّ النساء أقل ميلاً من الرجال لإظهار الفوارق، ويأخُذْنَ أحاديث الرجال على مَحْمَل العناية والجِدَّة، فيما يَغَصُّ الرجل بكلام المرأة، ويصفه بالثرثرة والخواء.

"ففي تجربة أجريتْ في جامعة بنسلفانيا (Pennsylvania) تم اختيار اثنين من الطلبة الخريجين، أحدهما رجل، والأخرى امرأة، وكانا متساويين في امتلاك مهارة الخطاب الشفوي.

كُلِّفَ الخريجان بإلقاء محاضرات مماثلة في موضوع علم الاجتماع، وكانت المحاضرات للنساء والرجال، تَحدَّث كل محاضر لصفه في الموضوع الأول في الأسبوع الأول، وفي الأسبوع الثاني تحدثا في الموضوع الثاني، وقد أُخْبِرَ الطلاب - مسبقاً- أنهم سيُمتَحَنُون بالمعلومات التي أُلقيت في المحاضرات؛ لذا حَرَصَ الطلاب على المتابعة والتركيز.

وحين أُجري الاختبار كانت المعلومات التي نقلها الطلاب عن المرأة مصحوبة بتعليقات مثل: هي قالت She said this، أو She made the point بمعنى أنها قدمت النقاط.

كانت هذه التعليقات أكثر في المعلومات التي نُقِلَت عن المرأة، أما المعلومات التي ألقاها الرجل فكانت أكثر قبولاً وثقة من حديث المرأة"(١).

إنَّ ارتباط حديث الرجل بالجِدَّة والثقة، واقتران حديث المرأة بالريبة والهَزل أمر لازب وراشح في مسطورات الثقافة وقيم المجتمع؛ لأنَّ الأدوار التي يشغلها الذكور والإناث متعيّنة في تحققات عديدة، فالقرار الفَصل يُعزى للرجل دائماً، أما المرأة فعليها الرضوخ والطاعة. فلم يرتبط دور المرأة بالمواقف الجادّة، إذ إنَّ الشَرْنَقَة التي ضربها المجتمع على المرأة أفضت إلى تفريغ شخصيتها من الفعل والتأثير.

لعل هذا الاعتقاد الذي سَكَبه المجتمع في عقول أفراده هو المحرّك لسلوكهم تجاه الذكر والأنثى؛ لذا يصدر الأفراد في تقييمهم لأدوار الذكر والأنثى عن قناعة مُسبَقة، فتفوّق الذكر هو المعيار الرتيب، أما مشاركة المرأة في الحل والعَقْد فانحراف واستثناء.

---

(١)The Female World, p p 382 - 384.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبَّرتْ إحدى الأكاديميات عما تعانيه من الطريقة التي يتَّبعها الطلاب والطالبات في الجامعة حين يخاطبون أعضاء هيئة التدريس ذكوراً وإناثاً:

"لأسباب اجتماعية معروفة داخل المجتمع، يكون عليهم/هن استخدام لقب مع اسمنا في أثناء المخاطبة، فيستخدمون اللقب وحده، أو قبل الاسم.

واللقب الذي نعاني منه هو "مس" (Miss)، بصرف النظر عن درجتنا العلمية، وعن كوننا متزوجات، أو غير متزوجات. ونَلْحَظ أنَّ الطلاب يخاطبون زملاءنا الرجال بلقب دكتور (Dr.) أو أستاذ (Professor) بتلقائية وبساطة.

ونشرح للطلاب عدم راحتنا – نحن الأكاديميات – للتعريف علينا من خلال الحالة الاجتماعية فقط، ففي السياق الأكاديمي، يتعيَّن التعريف بنا من خلال هويتنا الأكاديمية وإنجازنا العلمي"[1].

إنَّ سبب هذه الرؤية الراتبة للجنسين يكمن في الأنماط الثقافية السائدة، فيتناغم منح اللقب للذكر والأنثى مع الحالة الثقافية داخل المجتمع، لذا يكون منح اللقب تحديداً لدور الإنسان في مناشط الحياة، وإبرازاً للدور الثقافي الذي يقوم به.

(١) إلهام أبو غزالة: الإبداع، اللغة، والمرأة، ص٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السلوك اللغوي غير اللفظي للجنسين:

اللغة ليست نظاماً من العلامات وحسب -وفْقَ تعريف سوسير- ، أو ضربا من السلوك كما رأى بلومفيلد، فهناك أنظمة سلوكية غير لغوية Non-Verbal Behaviour تزامل الأداء اللغوي وتحظى بدور الدعم والمساندة للأداء، نحو: التعبير الجسمي، والتقارب، واللمس ...

وتتضافر هذه المكونات في تحقيق التواصل بين أفراد المجتمع، ويتفاوت هؤلاء في استخدام هذا السلوك، فيكثر بعض الأفراد من الحركات والإيماءات في أثناء حديثه؛ لما تنطوي عليه من دلالات داعمة للغة، بل ربما كانت في بعض المواقف بديلاً من السلوك اللغوي.

"رُوي عن عمر بن الخطاب أنه جاء ابنته حفصة ليسألها عن أمر حزبه، فقال: إني أسألك عن أمر أهمّني، فأفرجيه عني: في كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخفضت رأسها واستحيت، فقال: فإنّ الله لا يستحي من الحق، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر، وإلا فأربعة أشهر، فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر"(١).

وقد فَطِن الجاحظ إلى دور الإشارات الجسمية في تعضيد الكلام بقوله:

"والإشارة واللفظ شريكان، ونعْم العون هي له، ونِعْم الترجمان، هي عنه، وما أكثر ما تنوب هي عنه، وفي الإشارة بالطَّرْف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا البتّة"(٢).

وفي بعض الحالات يكون الكلام محظوراً، فيلجأ الأفراد إلى لغة للتواصل عبْر الإشارة "ففي أستراليا كان لا يُسمح للأرملة التي دفنت زوجها حديثا باستعمال الكلمات، وكما لا يُسمح

---

(١) ابن حسام الدين الهندي: كنز العمال، ٥/١٦.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ٧٨/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيء نفسه للشباب المقبلين على مرحلة الرجولة ....، وحتى الأمم المتحضّرة لم تنفض عن نفسها مثل هذه المحرّمات الكلامية. يُذْكَرُ أنَّ بعض القسس المسيحيين لم ينبسوا ببنت شفة لسنوات عديدة، فتحدثوا بلغة الإشارة؛ "لأنَّ الكلمة المنطوقة كانت خطيئة ..."(١).

ويُلْحظ أنّ المرأة أكثر استخداماً للإشارات غير الكلامية، وهي أعمق فهما لكُنْه مراميها، وتوظيفها في الموقف اللغوي.

جاء في رسائل ابن حزم: "ما رأيتُ قطُّ امرأة في مكان تحسّ أنّ رجلا يراها أو يسمع حسّها إلا وأحدثت حركة فاضلة كانت بمعْزِل، وأتت بكلام زائد هي عنه في غنية"(٢).

فالمرأة تميل إلى المفاتيح غير الكلامية، كحركات الوجه والجسم؛ لإشاعة التوافق والتناغم في خطابها، وبالتالي الوصول إلى التأثير والتضامن.

- تضرب المرأة بكفّها على صدرها إذا تعرضت لحدث فيه إنكار أو استغراب، وإذا كان الحدث أكثر دهشةً وارتباطاً بها فإنها تَصُكُّ وجهها عوضاً عن السلوك اللفظي، أو مساندة له، وقد حفظ تراثنا بعض هذه الإشارات، من ذلك قول الشاعر:

تقولُ وقد دقّتْ صدرها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس(٣)

- تبتسم الإناث أكثر من الذكور -غالباً-، وهنّ لا يفتحن أفواههن على نحو ما يفعل الذكور، بل يضعن أصابعهن على شفاههن حياء، ويضحكن دون قهقهة؛ لأنّ المجتمع يعدُّ ضحك المرأة في بعض المواقف من سوء الأدب، لذا يتعيّن على الأنثى أن تكتفي بالابتسام.

- تُعبّر المرأة عن موقف الحيْرة أو التوتر بوضع أنملها على أسنانها الأمامية مع إبقاء الفم مفتوحا، أما الرجل فيعبّر عن ذلك بحكّ الرأس أو الذقن أو الجبهة.

---

(١) كوندرا توف: أصوات وإشارات، ت. ادور يوحنا، ص١٢-ص١٣.

(٢) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ت إحسان عباس، ص٢٧١.

(٣) ابن جني: الخصائص ٢٤٦/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- النساء يُملْنَ رؤوسهن للتعبير عن الحياء أو الخضوع، وهُنَّ أكثر تنويعاً في مِشْيتهن. فحالة الدعة والسكينة تقتضي مشياً معتدلاً، والأمر الجَلَل يتطلب مشياً سريعاً، أما المشي البطيء مع إصدار حركات أو إطالة النظر فيما حَولَهُن فإنه يلمح إلى دلالة إغرائية، أو لفت الأنظار.

فسَّر أبو حيان الآية (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) النور ٣١ بقوله: " كانت المرأة تضرب الأرض برِجْلِها ليقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال. وسماع صوت هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها"[1].

- الإناث يُمْعِنَّ في بعضهن أكثر مما يفعل الذكور، الذين يفضلون تَكْرَار النظر على إطالته. ويُلْحَظ في اللقاءات العامة أنَّ المرأة تنظر إلى زوجها أكثر مما ينظر إليها.

- للمرأة قدرة على توظيف لغة العيون، فلديها مهارة في بثّ رسائلها من خلال نوافذ الروح (العيون)، لذا قيل "رُبَّ لَحْظٍ أنمُّ من لفظ".

- يميل الرجل إلى رفع الكف صَوْب الرأس لإلقاء التحية، فيما تميل المرأة إلى هزّ الرأس للتعبير عن الموقف أو الاستجابة له.

- المرأة تقترب من المنطقة الشخصية لجليستها، وهي أكثر ملامسة لها، ولعل ذلك يوحي إلى التَوَحُّد والمودة، فثمة صلة بين الاقتراب واللمس.

أما الرجل فيفضل إبقاء مسافة بينه وبين محدّثه (وهي المنطقة الآمنة)، وقلما يوظِّف اللَّمْس في عملية التواصل والانسجام.

يرى آلن يير (Allen Yair) "أنَّ قفل القدم محصور بالنساء، إنَّ أعلى رجل تُقْفِل الرِّجْل الأخرى لتعزيز موقف دفاعي، وحين تظهر هذه الإيماءة يمكنك أنْ تتأكد أنَّ تلك المرأة قد أصبحت منعزلة أو أنها انسلَّت مثل السلحفاة إلى صدفتها.

---

(١) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ٢٤٩/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنَّ هذا الوضع شائع بين النساء الخجولات أو اللواتي يشعرن بالجبن"[1].

أرى أنَّ المرأة تَصْدُر في صنيعها هذا عن تَطبُّع اجتماعي وجَّهها إلى المحافظة والالتزام وعدم الابتذال، فالبنت تُرَبَّى منذ الصغر على ضم قدميها، وعدم الاندفاع كالأولاد؛ لأنَّ ذلك في عُرْف الثقافة عيب.

قاربت الكاتبة (مي جبران) هذه الحالة بقولها:

" تُرَبَّى البنت على كبح الجسد (اقعدي منيح، وطِّي التنورة، ما تلعبي مثل الصبيان، وطِّي صوتك، اسمعي الكلمة، لا تقولي كلاماً بذيئاً ...) فهي تربية العيب، فيما يُرَبَّى الصبي بارتياح أكثر (معليش هو صبي، اتركيه يقعد مثل ما يشاء) تُرَبَّى البنت باللا، وهو بالنعم... "[2].

- تُعبِّر المرأة عن حركات وجهها بصورة أعمق دلالة، لتحقيق الصداقة والفرح وبثّ الهدوء في نفس المستمع.

لاحظتْ (هنيلي) "أنَّ النساء لديهن القدرة على قراءة الإشارات غير الشفوية سواء كانت صادرة عن ذكر أو أنثى، وربما يعود السبب إلى أنَّ السلوك غير الشفوي يَحْظَى بدور مهم في حياة النساء، فهنَّ أكثر حساسية للتلميحات غير الشفوية من الرجال"[3].

وقد قام علماء في جامعة نيويورك ستيت (New York State) في الولايات المتحدة بإجراء تجارب على سبعة عشر ولداً وثماني عشرة بنتاً "وانتهت الدراسة إلى أنَّ الفتيات يَملكن مقدرة التعرف على أدق التغيرات التي تطرأ على الوجه أكثر من الأولاد" [4].

ولعل هذا الفَيْض من السلوك غير اللفظي لدى المرأة يرجع إلى طبيعة التركيبة الاجتماعية التي فُرضت على المرأة نسقاً محدداً، ودوراً ثابتاً من المفترض الالتزام به، لذا تلجأ

---

(١) آلن بيز: لغة الجسد، ت. سمير شيخاني، ص٨٣.

(٢) مي جبران: الشخصية الأنثوية، مجلة مواقف، ع ٧٣-٧٤، ١٩٩٤م، ص١٤٣.

(3)The Female World, p 385.

(٤) صحيفة الرأي الأردنية، ٢٠٠١/٧/٢١م، ص٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوظيفي، إذ تكتنف لغة ربّات البيوت استعمالات مباينة إلى حدٍّ ما للغة النساء العاملات. فاللغة منظومة أودعها مِراس الكلام في الجمهور، وتتأثر بالمحيط الاجتماعي للأفراد والجماعات.

وعلى الرغم من تقريرنا أنّ ثمة خصائص لغوية مائزة للجنسين، إلا أنّ هذه التنوعات اللغوية لا تعدو أن تكون ضَرْباً من الأساليب والتلوينات التي تتخلل لغة فئة من الناس أو طبقة منهم، فلا تُقِيم هذه التنوعات اللغوية قطيعة بينها وبين اللغة الجامعة التي تَميز لغة المجتمع من غيره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــة:

صدرتْ هذه الدراسة عن وُجْهَة ترى أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تتوافر فيهـا خصـائص الظواهر الاجتماعية، وهي تدخل في علاقة جدلية مع غيرها على وجه الاستمرار، إذ إنّها نَسَـق يشترك في اتّباعها أفراد المجتمع، وبها يتواصلون؛ لتحقيق غائيّة الاجتماع البشري.

ومستصفى ما خَلَصَتْ إليه الدراسة من أنظار:

- أنّ الصلة بين اللغة والمجتمع متناظمة، ففي أحضان المجتمع تخلّقـت اللغـة، وهـي قنطرتهم للتواصل فيما بينهم، وتتجاوز وظيفة التفكير المجرّد، والتعبير عما يختلج فـي أقطـار النفس، لتشمل استجابة المتلقّين لها.

- احتفى اللغويون العرب بالسياق الذي تُسْـتَعمل فيـه اللغـة، واستشـعروا الوُجهـة الاجتماعية في معاينتهم للظاهرة اللغوية، وإنْ لم يصرّحوا بها تصريح اللسانيات الاجتماعية.

- استدركت اللسانيات الاجتماعية على علم اللغة الحديث إهماله للعوامل الخارجية التـي تؤثّر في استعمالنا للغة، وكان يتعيّن أنْ تُدْرَس المعطيات الاجتماعية للغة ضمن علم اللغة العام، لا أنْ يُفرد لها علم مستقل.

- إنّ استجلاء ماهية السلوك اللغوي لا يكون إلا بالعَوْد إلى المحيط الأوسـع للظـروف التي يتم فيها الفعل الكلامي، إذ يتأثر هذا السلوك بطبيعة المتكلم، وطبقته الاجتماعية، وجنسـه، وطبيعة الموقف الذي يتكلم فيه، وشخصية السامع، وتكوينه الثقافي. إلى غير ذلك من معطيـات تُسْهِم في شكل السلوك المُنْجَز.

- أطبقتْ الدراسة على أنّ الاختلاف بين الجنسين مَبْعثُه قـيم المجتمـع ومسـطورات الثقافة. وليس العوامل الفسيولوجية والبيولوجية، ويَعْضُد ذلك ما أُجري من بحوث ودراسات في السلوك اللغوي والاجتماعي للجنسين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– لم ينتظم تصنيف الجنس في العربية منطق عقلي، ولا سيما الجنس المجازي، فلـيس ثمة قرينة بين الجنس الطبيعي والجنس النحوي، ولعل هذا ما أشكل على الباحثين لالتماس علـة مطّردة في التصنيف.

ويتراءى لي أنّ اللغويين حين صنّفوا الأشياء كان هاجسهم ضبط اللغة واطرادها، لا أن يفضلوا جنساً على آخر، ولو أنّهم أفردوا للمجازي من الأسماء قسماً ثالثاً لتخلّصت الظاهرة مـن مُشْتَجَر الخلاف.

– ينبغي ألاّ نخلط بين العربية بوصفها ظاهرة، والنظرية التي تحاول استخلاص قـوانين تلك الظاهرة، فإذا كان هناك تحيّز في بعض التعيّنات اللغوية فمردّ ذلـك إلـى الثقافـة وقـيم المجتمع.

– إنّ اتساع الهُوّة في الخصائص اللغوية المائزة للجنسين يتناسب تناسـباً طرديـاً مـع التواصل والمشاركة، فكلما حضرت المرأة في المشهد الحيـاتي إلـى جانـب الرجـل قلّـت الاختلافات اللغوية بينهما، وكلما تقوقَعَتْ في حراسة الهيكل المنزلي، وتوارت عن الشهود زادت الاختلافات بين الجنسين وتعمّقت.

– على الرغم من إقرارنا بالخصائص اللغوية للجنسين، إلا أنّ هذه التنوعات لا تعدو أن تكون ضرباً من الأساليب والتلوينات التي تتخلل لغة فئة من الناس، أو طبقة منهم.

– تقتضي الزمالة المفترَضة بين الجنسين، تعديل القـيم الثقافيـة والاجتماعيـة ليرْفُـل الجنسان بالمساواة، ويفضي ذلك إلى تغيُّر التمثُّلات اللغوية، فهذه التحقُّقات مرهونة بموروثـات الثقافة التي انحازت للذكورة. وليس للغة نصيب من التحيّز، فاللغة في جِبِلّتها محايدة، وهي تملك طاقات كامنة لتنفي عن نفسها الانحياز، لكنّ ذلك مشروط بمن يستعمل الخطاب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملاحـــــــق

تقاسم الصفات المحمودة والمذمومة بين الجنسين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٤٩٥٣٠

▪ مُلحق بالصفات المحمودة والمذمومة للجنسين استُلّت مادته من جملة من معجمات المعاني.

▪ صفات سلبية ملحقة بالمرأة:

الصفة	المفردة	
• الحُمق	امرأة رَقاعِ	حمقاء
	خِذْعِل	حمقاء
	دفشن	حمقاء
	دِنْفِس	حمقاء
	لَكاعِ	الحمقاء الدنيئة... ينظر: الأصمعي: ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، ص٣٩.
	وَرْهاء	
	دَعْقاء	حمقاء
	جَمْعاء	• تقال للتي أنكر عقلها، ولا يقال للرَّجل
	تَأطاء	حمقاء
	لَكْعاء	
	عَوْكل	حمقاء
	بلْعَوس	حمقاء
	خَزَنْبَل	حمقاء – المخصص ٦١/١٦، ١٥١/١٦، ١٦٥/١٦، ١٦٩/١٦
• الفُجور	امرأة جلِعة	فاحشة
	مجِعَة	التي تكلِّم بالفحش
	بذيئة	ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، ص٤٥.
	السَّلْفَع	الجريئة البذيئة
	العِنْفِص	البذيئة
	الجِلأْعة	التي تكلم بالفحش
	المَجّاعة	تتكلم بالفحش
	التِّرعة	الفاحشة الخفيفة ابن السكيت. كتاب الألفاظ، ص٢٤٤.
	طُلَعَة	المرأة الفاحشة
	قُبَعَة	بذيئة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة	
* الفجور	قَرُور	لا تردّ يد لامس، وتقرّ لما يصنع بها
	مُومِسَة	
	بَغِيّ	
	مُسافِحَة	
	مِعقَاص	بلغت في السوء غايته
	زَبَعْبَق	إذا كانت نهاية في سوء الخُلُق. فقه اللغة، ص١٧٠
	عَاهِر	
	مُجالِع	خلعت خمارها تَبرُّجاً
	هَجُول	بغيّ
	هَلُوك	بغيّ
	صُنْبُع	
	عَلْجَن	ماجنة
	رِعْبِل	متساقطة
	عِنْفِص	الداعرة الخبيثة
	خَرِيع	فاجرة
	خريعة	
	قَرْثَع	قليلة الحياء
	زِير	تُلازم الرجال
	سَافِر	
	فَرَنْتَى	اسم للفاجرة
	خَطُّالة	ذات الريبة والفحش
	وَقَاح	صلبة الوجه
	قَذَع	
	هِنْبُع	الفاجرة تظهر سرها لكل واحد. المخصص. ١٢٤/١٦، ١٣٤، ١٤٢، ١٦١-١٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة	
	خُنْظُوب	رديئة الخُبْر
	الدُّلْجَة	
	فحّاشة	– القاموس المحيط "دلج"، "فحش" فحّاش
صفات خُلُقيــة وســــــلوكية مذمومـــــــة		
	نَشُوص	لا تطيع زوجها – ما اختلفت ألفاظه ... ص٤٩.
	هاهأة	ضحّاكة المخصص ١٦/١٤
	وَرْهَاء	
	هَنْباء	فيها طيش المخصص ١٦/١٦
	مِهزَاق	كثيرة الضحك
	مِنقاص	كثيرة الضحك
	مِكْثير	كثيرة الكلام
	ظَلُوم	ظالمة المخصص ١٦/ ١٣٥-١٣٧
	عَلُوق	لا تحب زوجها
	رَوُود	تدخل بيوت الجيران المخصص ١٦/١٤٢
	ذَعُور	تذعر من كل شيء
	بِطْرِير	طويلة اللسان صخّابة المخصص ١٦/١٦٨
	جَمَاد	مُمْسِكة
	رَوَاد	طوّافة في بيوت جاراتها
	عفير	لا تهدي لأحد شيئاً
	فُرُج	لا تكتم سراً
	جَيْحل	غليظة الخُلُق
	فَيْلَق	داهية صخّابة
	حَنْبَش	كثيرة الحركة
	جَحْمَرِش	سَمِجَة مكروهة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة	
	خنبق	رَعْنَاء
	ضَمْزر	غليظة
	خلوب	خذاعة المخصص ١٤٢/١٦
	صَهْصلِق	صخَابة المخصص ١٦٩/١٦
	شَنْقَلِيق	
	عَنْقَفِير	غالبة بالشر سليطة
	عَيْهل	لا تستقر نزقاً
	عيهلة	
	سلقانة	إذا زادت سلاطتها فقه اللغة ١٦٩
	عَبْقَانَة	السيئة الخلُق
	صَدُوف	* ينظر القاموس المحيط في جذور المفردات
صفات جسدية مذمومة	لَخْنَاء	منتنة الريح
	مَصْوَاء	لم يكن على فخذيها لحم
	قَيْعَلَة	إذا كانت نهاية في السّمن والعظم
	عَرَكْرَكَة	إذا كانت كثيرة مضطربة الخلْق
	عضنكة	مضطربة الخَلق
	رَسْحَاء	قبيحة
	جَدَّاء	صغيرة الثديين
	قفرة	قليلة اللحم.
	جَأنَبَة	غليظة الخلْق
	مَدْشَاء	لم يكن على ذراعيها لحم
	زَلاَّء	لم تكن لها عجيزة
	طَرْطُبَّة	طويلة الثديين مسترخيتهما
	قُنْبُضَة	قصيرة ذميمة
	مُفَاضَة	ضخمة البطن * ينظر. فقه اللغة ص١٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة	
	خَثْواء	سمينة المخصص ١٦/٥٣ – ١٦١
	عَكْباء	غليظة الخَلق
	خَسّاء	قبيحة الوجه
	خَوْثاء	مسترخية
	سَوْآء	قبيحة
	ثَعْلاء	لها أسنان زائدة
	بَوْصاء	عظيمة العَجُز
	قَثْعاء	قبيحة المشية
	قَدْشاء	لا لحم على يديها
	وَجْناء	العظيمة الوجنات
	نَكُوع	قصيرة
	دَرُوم	قصيرة، سيئة المشي
	خَفُوت	لا تكد تبين من الهزال
	دسوس	بها عيب في جسدها
	ذَمِيم	مذمومة
	نَصَف	مسنة
	فُرُث	خبيثة النَفَس
	خُنْبُج	مُكْتَنِزَة ضخمة
	خنطير	مسترخية الجفون ولحم الوجه
	ضَمْعَج	ضخمة البطن مسترخية اللحم
	دلْظَم	فانية
	علْكد	قصيرة
	جِلْبِح	ذميمة
	خجرط، هِلْدِم، ودلْقم	هرمة
	هِرْمِل	فيها هوج واسترخاء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة	
	قَرضم	ضخمة ثقيلة
	فرشاح	كبيرة سمجة
	مُهْبِلس	ضخمة
	هِرْشف	عجوز كبيرة
	هِرْشفّة	
	حُذْحُذ	قصيرة
	بُهتر	قصيرة
	بُهْتُرة	ينظر. المخصص ١٦/١٦٢ – ١٦٩، ١٨٣
	شوهاء	قبيحة غير منسوقة
	مقّاء	طويلة مع دقة في البدن
	خَرْثاء	ضخمة الخاصرين
	عشّة	دقيقة عظام اليدين والرجلين عشّ
	عُكْبُرَة	جافية الخِلْقة
	ضَهْيَاء	لم تنم أعضاؤها التناسلية
	حَضُون	أحد ثدييها أكبر من الآخر
	مُتَخرْخِرَة	هزلت بعد سمن
	فَوْهاء	واسعة الفم
	سَوَل	مسترخية أسفل البطن
		ينظر: القاموس المحيط

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة		
صفات نفسية وخُلقية محمودة			
	عَرُوب	متحبِّبة لزوجها	كتاب الألفاظ ٢٣٨
	عاشِق	مُحبَّة لزوجها	
	حاجِن	حَصَان	المخصص ١٢٢/١٦-١٢٦
	طَاهِرة	نقية	
	باهِل	لا تمنع زوجها مالها	
	خرود، خريد	حيية	المخصص ١٤٢/١٦
	ظَنُون	لها شرف تُتزَوج طمعاً في ولدها.	كتاب الألفاظ، ص٢٣٨
	ثقال، الثِّقال	رزان	
	خليق	حسنة الخُلُق	
	عَطِيف	ذلول مطواع	المخصص ١٥٧/١٦
	سَتِير	حيية	المخصص ١٥٨/١٦
	مِذْعان	مطواعة، منقادة	القاموس المحيط
	نَوَار	المتحفظة التي تنفر من الريبة	
	رَزَان	رزينة في مجلسها	
	خَفْرَة	صبية	فقه اللغة ١٦٧
	رخيمة	منخفضة الصوت	
	بَرْزَة	جليلة تظهر للناس	فقه اللغة ١٦٨
	مِعْطَاء	من العطية	
	مِهْدَاء	من الهدية	
	مقْصُورة	مصونة، محجوبة	
	اللُّبَقَة، اللبيقة	الظريفة	ينظر: القاموس المحيط
	مِغناج		المخصص ١٣٥/١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة		
	صَنَاع	صانعة	١٥١/١٦
	مِرفال	تَجُرُّ ثوبها ثقة	١٣٥/٦
	زائن	مُتَجمِّلة، متزيِّنة	
	طَرُوح	تطرح ثوبها ثقة	١٤٢/٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة		
صفات جسدية محمودة	الخَبَنْدى	الناعمة. التارّة البدن	المخصص ٧/١٦
	مِبْهَاج	بيِّنة البهجة	المخصص ٣٥/١٦
	بَضَاض	كثيرة اللحم	المخصص ١٥١/١٦
	فَرِيع	ناعمة	١٥٧/١٦
	بَحْت	خالصة البياض	
	فُنُق	عظيمة حسناء.	ينظر. المخصص١٦/١٦٢-١٧٠
	غَيْلَم	حسناء	
	عَيْطل	طويلة العنق في حسن	
	شرواط	طويلة متشذبة	
	أُمْلُود	ناعمة	
	عُطْمُوس	تارّة ذات قوام	
	شُغْمُوم	تامة حسنة	
	رُعبوب	تارّة، وقيل بيضاء حسنة	
	خَنْضَرِف	كبيرة الثديين	
	خليق وخليقة	تامة معتدلة	
	بهيَّة	بيِّنة البهاء	ينظر: القاموس المحيط
	رُوقة	ذات جمال رائق	
	ممشوقة	حسنة القوام	
	السُّرْعوف	الطويلة	
	السُّلْهَبَة	الطويلة الجميلة	
	سُرْحوبة	الطويلة الحسنة الخَلْق	
	فرّاء، غرّاء	حسنة الثغر	
	قَيْنَانة	ذات شعر طويل	
	الرُّحْضة	الناعمة	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة	
	لها رُوَاء	الحسنة
	الغَادة	البينة الغَيَد ، الناعمة اللينة
	عَبْهَرة	رقيقة البشرة
	الزّهْرَاء	المشرقة الوجه
	المُعَدلَجة	الممتلئة الناعمة، الحسنة الخَلْق
	الخَوْد	الشابة الرَخصَة
	الرَنْدَة	الشابة الحسنة
	أُملُود	بينة الشباب تهتز في مشيتها
	ناضرة ونضرة ونضيرة	بيّنة الحسن مع النعمة
	سِرْعَبَة	طويلة، حسنة الجسم
	شنباء	▪ بينة الشنب، وهوماء ورقة تجري على الثغر
	المارِيّة	البيضاء
	الهَرْكلة، والهِرْكِلة، والهُرْكُولة	الحسنة الجسم والمِشْيَة
	تَحْضَانة	طيبة النَفَس والريح
	الهَبْرَكة	الناعمة التامة
	خلاّقة	حسن خَلْقُها
	رَوْقَاء	ذات جمال رائق
	الدَمْحَلَة	الحسنة الخَلْق
	الشَنَاط	الحسنة اللحم واللون
	البَيْهَس	الحسنة المِشْيَة
	البَهْنَكة	ناعمة الجسم اللينة
	تَمِيمَة	تامة الخلق وثيقة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة	
	رَبِيلَة	سمينة
	رَتْجَلَة	سمينة منعُمة
	الوَهْنَانة	اللينة، لينة الجسم ناعمته
	البَرْهَرَة	الناعمة، كثيرة اللحم
	أثّاثة	الطويلة
	شَغْفَر	حسنة الخَلْق
	السرباح	الحسنة المشية
	ممكورة	دقيقة المحاسن
	خَرْعبة	حسنة القد، لينة القصب
	قبّاء، خمصانة، هَيْفَاء	لطيفة البطن
	هَضِيم	لطيفة الكشحين
	عُطْبُول	طويلة العنق
	مَرْمَارة	ترتج من سمنها
	عَبْرَة	عظيمة الخلق مع الجمال
	رَصُوف	إذا كانت طيبة الخَلْوة
	لفّاء	ضاق ملتقى فخذيها لكثرة اللحم. ينظر فقه اللغة ١٦٦-١٦٧
	حَسّانة	جميلة الجسم * ينظر: ما اختلفت ألفاظه ... ص٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **صفات مذمومة للرجل**

الصفة	المفردة	
الحُمق		
	خَطَنْطى	يُعيَّر به الرجل إذا نسب إلى الحمق
	عَباياء	الأحمق الفَدِم
	الطَّباقاء	الأحمق
	طَبْخَة، ولَطْخَة	أحمق لا خير فيه
	بُوْهة	أحمق
	خَالِفة	فيه حمق
	طَيَّاخة وفجّاعة	أحمق
	زُمَيْلة	أحمق ضعيف
	إمَّرة، وإمع	أحمق لا رأي له
	ضَوْكَعة	أحمق كثير اللحم مع ثِقل
	خَجَّاجة فَقاقة	أحمق
	هِلْباجَة	أحمق مائق
	سَاقط	ناقص العقل
	أمَنَة	يثق بكل واحد جهلاً
	لَفاة	• ينظر. المخصص ١٦/١٧٠ – ١٧٦، ١٨٣.
	أبلَه	إذا كان به أدنى حمق وأهدونه
	أخرق	الحمق مع عدم الرفق
	أهوج	الحمق مع تسرع
	مأفون	لم يكن له رأي يرجع إليه
	يهفوف	من زاد حمقه
	خَنْفَع، وهَبَنْقَع	اشتد حمقه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة	
	عَفِيك لَفِيك	إذا كان مشبعاً حمقاً يُنظر: فقه اللغة ص١٥٥- ١٥٦.
الفجور		
	دُعَرَة	
	جوّاظة	
	طَفانية	
	عاهر	
	نطف	
	فاحش، فحّاش	يُنظر: القاموس المحيط
الجُبْن		
	نأنأ، ونَأْنَاْة	ضعيف، عاجز، جبان
	هَوْهاء	جبان
	فَرُوقة	
	كَيْئَة وكَيء	جبان
	فَرُورة	فرّتر
	نَفْرِجة	ينكشف عن الحرب
	زُمّيل وزُميلة	ضعيف رِخو جبان
	رَذْل وهردب وهِرْدَبَّة	ضخم جبان
	فرُوق وفارُوق وفارُوقة	يَفْرَق من كل شيء المخصص١٦/١٨، ٧٢، ١٣٩، ١٧٠، ١٧٦
	جبان	
	فَشِل	في نهاية الجبن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة	
	هِلّ	ضعيف القلب
	هَيّاب	
	رِعديد	جبان
	خوّار	
	خَرِع	
	منخوب	مخلوع القلب ينظر: إبراهيم اليازجي: المترادف والمتوارد. ٨٥/١
البخل		
	حِلِّز	إذا كان في نهاية البخل
	لَحِز	شديد البخل فقه اللغة ١٦١
	شحيح	إذا كان مع شدة بخله حريصاً
	لئيم	
	ضَنين	
	جَعْد	إذا كان شديد الإمساك لماله
	مُسَكَة	
	ضَيِّق	
	كَزّ	مُمْسِك
	حَصُور	المترادف والمتوارد ٨١/١
صفات مذمومة أخرى	وَعِقَة لَعِقَة	عسير الخُلق
	عِزْنَة	لا يُطاق
	نُوْمَة	خامل
	رَهَكَة	لا خير فيه
	حُولَة	محتال
	هُزَأَة	يهزأ بالناس
	سُخَرَة	يسخر بهم
	خُذَلَة	يخذلهم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة	
	كُذَبة	يكذبهم
	ضُجَعة	كثير الاضطجاع
	غُضَبَة	سريع الغضب
	مُزَقَة	ضيق الرأي
	صخّابة	شديد الصَّخَب
	فَزّاعة	يفزع الناس كثيراً
	أكّالة	كثير الأكل
	لَقّاعة	كثير الكلام، متداه
	قاذورة	يبرم بالناس ينظر: المخصص ١٦/١٧٠-١٧٤
	تِبْذارة	يبذر ماله ويفسده
	مِسَبّة	كثير السبّ
	هَيْذارة بَيْذارة	كثير الكلام
	علاقية	شديد الطلب
	قُعَدية	كثير القعود
	ضُجيعة	كثير الاضجاع
	جِنعاظة	يتسخط عند الطعام من سوء خلقه المخصص ١٦/١٧٤-١٧٧
	سِنْدأوة وقِنْدأوة	خفيف القاموس المحيط: الجذور الأنفة
	بِلْدامة	وَخِم
	ضِرْسامة	رخو لئيم
	لَقّاع ولُقّاعة وتِلِقّاع وتِلِقّاعة	كثير الكلام في خطأ أو صواب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة		
	زمحن وزمْحَنة	سيء الخُلُق	
	عَوَق عُوقة	ذو تعويق	المخصص ١٦/١٧٤-١٨٦
	نَطِيش	إذا لم يكن له قوة بالأمر	
	حَبَض	ليس له رأي	
	بُذْم	لم يكن له قوة بالأمر	
	فدْم	لم يكن له قوة بالأمر	
	ووخم	القليل المنفعة	
	هِلْبَاجة	ينظر: ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ص٥٠- ص٦٧	
صفات جسدية مذمومة	رجل قفّة	صغير الجثة قليل	*المخصص ١٦/١٧٠
	جَدَمة	قصير	١٦/١٧١
	دِنّامة ودِنّابة	قصير	١٦/١٧٣
	جِنْدَرَة	قصير	١٦/١٧٥
	دِحْوَنْة	سمين مندلق البطن قصير	١٦/١٧٥
	دِرْحاية	كثير اللحم – قصير لئيم الخِلْقة	١٦/١٧٥
	جِعْظَاية	قصير لحيم	١٦/١٧٥
	حَزَابِيَة	غليظ إلى القصر	١٦/١٧٥
	بِلْدَامة	وخم	١٦/١٧٦
	جحنْبارَة	قصير	١٦/١٧٦
	تِنْبَال	قصير	
	تِنْبالة		
	دَحْداحة	قصير	١٦/١٨٢
	دِنْبَة	قصير	
	خُزُقّ	قصير	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة		
	جَدَم		
	جَذمة	قصير	
	جِعْظار		
	جِعْظَارة		
	أصْعَل	صغير الرأس	فقه اللغة ١٥٦
	سَمَعْمَع	صغير الرأس	
	أشدق	إذا كان فيه عوج	فقه اللغة ١٥٦
	أكْشَم	ناقص الخلق	
	أخْفَج	معوج القد	
	أدَنّ	منحني الظهر	
	أحْدَب	خرج ظهره ودخل صدره	فقه اللغة ١٥٦
	ألَصّ	إذا كان مجتمع المنكبين يكادان يمسان أذنيه	
	أجْنَأ، أدْنَأ	إذا كان في رقبته ومنكبيه انكباب إلى صدره	
	أغن	إذا كان يتكلم من قبل خيشومه	
	أفحج، أفج	إذا كان متباعد ما بين الفخذين والقدمين	فقه اللغة ١٥٦
	أقزل	قبيح العرج	فقه اللغة ١٥٦
	دُعْثُوب	قصير ذميم	ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ص٣٤
	حيْقَس	إذا كان قصيراً غليظاً	
	كُلْكُل	إذا كان قصيراً غليظاً	
	كُلاكل	قصير غليظ ضخم البطن	
	حَفَيْتَأ	إذا كان قصيراً	
	حَفَيْسَأ	إذا كان قصيراً سميناً	
	بَجْباح	القصير السمين	
	وَخْواح	إذا كان قصيراً ثم اضطرب لحمه.	
	جُعْشوش	القصير الغليظ	
	حِنْزَقر	القصير الذميم	ما اختلفت ألفاظه ... ص٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **صفات محمودة للرجل**

وردت صفات كثيرة في كتب اللغة، أسوق جملة منها:

الصفة	المفردة		
السيادة	الحُلاحل	السيّد الشجاع	
	الهُمام	السيّد البعيد الهمة	
	القَمقام	السيّد الجواد	
	الغِطْرِيف	السيّد الكريم	
	الصِّنْدِيد	السيّد الشريف	
	الأرْوَع	السيّد الذي له جسم وجهارة	
	الكَوْثَر	السيّد الكثير الخير	فقه اللغة ١٦٣-١٦٤
	البُهْلُول	السيّد الحسن البِشْر	
	عِيْمَة	خِيار قومه	
	نَابِخَة	عظيم الشأن ضخم الأمر	
	صُبَّابة	أي خيارهم	المخصص ١٦/١٧٠-١٧٣
رجاحة العقل			
	طبنَة	عالم بكل شيء	
	لَوْذَعي	جيد الحَدْس	
	ألمَعيّ	إذا كان ذكياً موقداً مصيب الرأي	فقه اللغة ١٦٤
	ذكيّ		
	فطِين		
	فهِيم		
	زَكِن	فطن صادق الحَدْس	المترادف والمتوارد ١/١٠٤
الشجاعة			
	صِمَّة	شجاع	
	بُهْمَة	شجاع لا يُدرى كيف يؤتى له	
	واقعة	شجاع	المخصص ١٦/١٧٤-١٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة	
	مرافصة	شديد ضخم شجاع
	ضُبَارِم ضُبَارِمَة	الجريء على الأعداء
	حَمِس	
	صارم	
	نَجِيد	
	ذَمِر	
	بئِيس	
	مِقْدام	
	بطل	
	فتّاك	
	مِصْدَام	المترادف والمتوارد ٨٣/١-٨٤
الكرم		
	كُرّامة	
	الغَيْداق	الكريم الجواد فقه اللغة ١٦٤
	الأريحي	الذي يرتاح للندى
	الخِضْرم	الكثير العطية
	الأفق	بلغ النهارية في الكرم
	سَخيّ	
	سَجْل	
	وهوب	
	بذول	
	فيّاح	
	معطاء	المترادف والمتوارد ٧٧/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة	المفردة		
صفات أخرى			
	كُؤصَة	صبور على الشراب وغيره	
	رُوْمَة	طريف مُعْجب	
	رجل تقولة	جيِّد القول	
	تِكلاْمَة	جيِّد الكلام فصيح	المخصص ١٦/١٧٠-١٧٤
	فَكه	طيب النفس ضحوك	
	دَهتَم	إذا كان سهلاً ليناً	
	بزيع	إذا كان طريقاً كيِّساً	
	عبقري	إذا كان حاذقاً	
	زَوَل	إذا كان حركاً ظريقاً	فقه اللغة ١٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثَبَت المصادر والمراجع

- **بالعربية**

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس.
- **أبو ريشة (زليخة)**: اللغة الغائبة، نحو لغة غير جنسوية، مركز دراسات المرأة، عمّان، ١٩٩٦م.
- **أبو زيد (محمود)**: اللغة في الثقافة والمجتمع، دار الكتاب. مصر (د. ت)
- **أبو زيد (نصر حامد)**: دوائر الخوف. قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط٢، ٢٠٠٠م.
- **أبو غزالة (إلهام)**: الإبداع، اللغة، والمرأة، جامعة بيرزيت، بيرزيت، ط١، ١٩٩٨م.
- **الأخفش (سعيد بن مسعدة)**: معاني القرآن، تحقيق: فائز فارس، ط٢، ١٩٨١م.
- **الأصمعي (عبد الملك بن قريب)**: ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.
- **الأعرجي (نازك)**: صوت الأنثى، دار الأهالي، دمشق، ط١، ١٩٩٧م.
- **الأنباري (أبو البركات)**: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م.
- **ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم)**: الزاهر في معاني كلام الناس، تحقيق: حاتم الضامن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩م.

_____: المذكر والمؤنث، تحقيق: طارق الجنابي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٨م.

- **أنيس (إبراهيم)**: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥، ١٩٧٩م.

_____: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٩٢م.

_____: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦م.

- **الباقلاني (محمد بن الطيب)**: إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤م.
- **بشر (كمال)**: علم اللغة الاجتماعي، دار غريب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.
- **البطليوسي (ابن السيد)**: الحلل في إصلاح الخلل، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

_____: شرح المختار من لزوميات أبي العلاء، تحقيق: حامد عبد المجيد.

- **البغدادي (عبد القادر بن عمر)**: خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٩م.
- **البكري (عبد الله بن عبد العزيز)**: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة، ودار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م
- **ابن التستري (سعيد بن إبراهيم)**: المذكر والمؤنث، تحقيق أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٣م.
- **أبو تمام (حبيب بن أوس)**: ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبدة عزام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م.
- **التوحيدي (أبو حيان)**: الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **الثعالبي (أبو منصور)**: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: مصطفى السقا وزملائه، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- **الجاحظ (عمرو بن بحر)**: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت).
_____: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
_____ : رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- **الجمحي (محمد بن سلام)**: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢م.
- **ابن جني (أبو الفتح)**: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٤، ١٩٩٠م.
_____: سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٩٥٤م.
_____: اللمع في العربية، تحقيق: حسين محمد أحمد شرف، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
- **الجوهري (إسماعيل بن محمد)**: الصحاح في اللغة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٦م.
- **ابن حزم (علي بن أحمد الأندلسي)**: رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة. بيروت، ١٩٨٥.
_____ : طوق الحمامة، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، (د.ت)
- **حسان (تمام)**: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.
- **حسن (عباس)**: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٧٦.
- **الحفني (عبد المنعم)**: الموسوعة النفسية والجنسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- **أبو حيان (أثير الدين محمد بن يوسف)**: البحر المحيط، نشرته بالأوفست مطبعة النصر الحديثة، الرياض، ١٩٧٠م.
- **خرما (نايف)**: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، ع٩، الكويت، ١٩٧٨م.
- **خلف الله (محمد أحمد)**: الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٧٢م.
- **الخولي (محمد علي)**: معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨١م.
- **ابن رشد (أبو محمد بن أحمد)**: تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.
- **الرويلي (ميجان)/سعد البازعي**: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط٢، ٢٠٠٠م.
- **الزبيدي (أبو بكر)**: الواضح في علم العربية، تحقيق عبد الكريم خليفة، منشورات الجامعة الأردنية، (د.ت).
- **الزبيدي (محمد مرتضى)**: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥م.
- **الزجاج (إبراهيم بن السري)**: ما ينصرف وما لا ينصرف، تحقيق: هدى محمود قراعة. نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، ط١، ١٩٧١م.
- **الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحق)**: الجمل في النحو، تحقيق علي الحمد، مكتبة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٨٨م.
- **الزمخشري (جار الله محمود بن عمر)**: المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط٢، ١٩٧٤م.
_____: المفصل في علم العربية، راجعه: محمد عز الدين السعيدي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- **زهير بن أبي سلمى (ديوان)**: صنعة أبي العباس ثعلب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٩٤٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **زيادة (مي)**: الأعمال الكاملة، جمع وتحقيق: سلمى الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.
- **السجستاني (أبو حاتم سهل بن محمد)**: المذكر والمؤنث، تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، ط١، ١٩٩٧م.
- **ابن السراج (أبو بكر)**: الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مكتبة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- **السعداوي (نوال)**: الأنثى هي الأصل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤م.
- **ابن السكيت (يعقوب بن اسحق)**: كتاب الألفاظ، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- **ابن سلمة (المفضل)**: مختصر المذكر والمؤنث، تحقيق رمضان عبد التواب، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م.
- **ابن سيده (علي بن إسماعيل)**: المخصص، دار إحياء التراث، بيروت (د. ت).
- **السيوطي (جلال الدين)**: الأشباه والنظائر، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
  ــــــــــــ: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه محمد جاد المولى وزملاؤه، دار الجيل، بيروت (د. ت).
- **الشوكاني (محمد بن علي)**: الفرائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق عبد الرحمن اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- **الشوك (علي)**: جولة في أقاليم اللغة والأسطورة، دار المدى للثقافة. دمشق، ط١، ١٩٩٤م.
- **الشيبي (محمد بن علي)**: تمثال الأمثال، تحقيق أسعد ذبيان، دار المسيرة، ط١، ١٩٨٢م.
- **الصيمري (عبد الله بن علي)**: التبصرة والتذكرة، تحقيق فتحي علم الدين، دار إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٢م.
- **ابن طباطبا (محمد بن أحمد)**: عيار الشعر، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١، ١٩٩١م.
- **الطبري (محمد بن جرير)**: جامع البيان في أحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م.
- **طرابيشي (جورج)**: رمزية المرأة في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
- **ابن عبد ربه (أحمد بن محمد)**: العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
- **عضيمة (محمد عبد الخالق)**: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، (د. ت).
- **عفيفي (عبد الفتاح)**: علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.
- **العلوي (هادي)**: فصول في المرأة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- **عمايرة، (إسماعيل)**: ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية، مركز الكتاب العلمي، عمّان، ١٩٨٦م.
- **عمر (أحمد مختار)**: اللغة واختلاف الجنسين، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
- **عبد الله الغذّامي**: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط١، ١٩٩٩م.
- ــــــــــــ : ثقافة الوهم، المركز الثقافي، الرباط، ط١، ١٩٩٨م.
- ــــــــــــ : المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط١، ١٩٩٦م.
- **الفراء (يحيى بن زياد)**: المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٧٥م.
- **الفراهيدي (الخليل بن أحمد)**: العين، تحقيق: عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد (د. ت).
- **الفيروزابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)**: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم)**: عيون الأخبار، شرحه يوسف طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- **القرطبي (محمد بن أحمد)**: الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م.
- **القفطي (علي بن يوسف)**: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨١م.
- **ابن كثير (أبو الفداء الدمشقي)**: تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٦٦م.
- **لطفي (مصطفى)**: اللغة في إطارها الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٧٦م.
- **ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله)**: شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تحقيق عدنان الدوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧م.
- **المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)**: المذكّر والمؤنّث، تحقيق: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م.

_____ : المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، القاهرة (د. ت).

- **مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: في أصول اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٩م.
- **محمود (إبراهيم)**: الجنس في القرآن، رياض الريس للنشر، لندن، ط٢، ١٩٩٨م.
- **المرزوقي (أحمد بن محمد)**: شرح ديوان الحماسة، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م.
- **مستغانمي (أحلام)**: ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- **مسكويه، وأبو حيان التوحيدي**: الهوامل والشوامل، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥١م.
- **مصلوح (سعد)**: دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
- **ابن مكي (الصّقلّي)**: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦م.
- **منا (يعقوب أوجين)**: الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية، منشورات مركز بابل، بيروت، ١٩٧٥م
- **ابن منظور (محمد بن مكرم)**: لسان العرب، دار صادر، بيروت (د. ت).
- **مهنا (عبد)**: معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- **الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد)**: مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- **النفزاوي**: الروض العاطر في نزهة الخاطر، تحقيق جمال جمعة، رياض الريس للنشر، لندن، ١٩٩٠م.
- **نهر (هادي)**: اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل، إربد، ١٩٩٨.
- **هرمز (صباح حنا)**: الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، ١٩٨٧م.
- **الهندي (ابن حسام الدين)**: كنز العمال، دار التراث، دمشق، ١٩٧٦م.
- **وافي (علي عبد الواحد)**: علم اللغة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م.

_____: اللغة في المجتمع، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٧١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **ابن وهب (أبو الحسن إسحق بن إبراهيم)**: البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، ط١، ١٩٦٧م.
- **اليازجي (إبراهيم)**: نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، ضبطه نديم آل ناصر الدين، مكتبة لبنان، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
- **ابن يعيش (موفق الدين)**: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي، القاهرة، (د. ت).

- **الكتب المترجمة:**

- **أشار (بيار)**: سوسيولوجية اللغة، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- **برجشتراسر**: التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م.
- **بريمو (ناتاليا بريمو)**: معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم، موسكو، ١٩٨١م.
- **سلدن (رامان)**: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار قباء، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.
- **سوسور (فرديناند)**: علم اللغة العام، ترجمة يوئيل عزيز بيت الموصل، ط٢، ١٩٨٨م.
- **شوي (أورزولا)**: أصل الفروق بين الجنسين، ترجمة بوعلي ياسين، دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.
- **غارمادي (جوليت)**: اللسانة الاجتماعية، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٠م.
- **غارودي**: في سبيل ارتقاء المرأة، ترجمة جلال مطرجي، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٢م.
- **فليش (هنري)**: العربية الفصحى، ترجمة عبد الصبور شاهين، المكتبة الكاثوليكية، بيروت، ط١، ١٩٦٦م.
- **فندريس**: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.
- **فوكو (ميشيل)**: نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٨٤.
- **كامبي**: العشق الجنسي والمقدس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، ١٩٩٢م.
- **كوندراتوف**: أصوات وإشارات، ترجمة ادور يوحنا، مديرية الثقافة العامة، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٦٩م.
- **لوكمان (لويس)**: علم اجتماع اللغة، ترجمة أبو بكر باقادر، النادي الأدبي للثقافة، جدة، ط١، ١٩٨٧م.
- **لويس**: اللغة في المجتمع، ترجمة تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٦١م.
- **مجموعة كتّاب**: دراسات لغوية في ضوء الماركسية، ترجمة ميشال عاصي، دار ابن خلدون، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
- **مجموعة من المؤلفين**: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة: مهدي المخزومي، ومالك المطلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- **ميلر (سوزانا)**: سيكولوجية اللعب، ترجمة حسن عيسى، عالم المعرفة، الكويت، ع ١٢٠، ١٩٨٧م.
- **هدسون**: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد، مراجعة نصر حامد أبو زيد ومحمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.
- **يسبرسن (أوتو)**: اللغة بين الفرد والجماعة، ترجمة عبد الرحمن محمد، مكتبة نهضة مصر (د. ت).
- **يير (آلن)**: لغة الجسد، ترجمة سمير شيخاني، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

▪ الدوريات والمجلات:
- أفاية (محمد نور): المرأة والكتابة، مجلة الوحدة، بيروت، ع٩، ١٩٨٥م.
- التميمي (أمل): المرأة في ظلال الأديان، مجلة تايكي، منشورات أمانة عمان الكبرى، ع٦، ٢٠٠١م.
- جبران (مي): الشخصية الأنثوية، مجلة مواقف، بيروت، ع٧٣-٧٤، ١٩٩٤م.
- الخالد (كورنيليا): الكفاح النسوي حتى الآن، مجلة الطريق، بيروت، ع٢، نيسان، ١٩٩٦م.
- شريدة (صالح مهدي): العلاقة بين اللغة والمجتمع، مجلة المجمع العلمي العراقي، م٢٥، ١٩٧٤م.
- طعمة (طلال): علم اللغة الاجتماعي أم الألسنية؟، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع (٧-٨)، ١٩٨٠م.
- قصاب (وليد): الأسلوب والموقف الاجتماعي، مجلة الفيصل - الرياض، ع ٩٧، نيسان، ١٩٨٥م.
- المنلا (إبراهيم): النسوية من منظور علم اللغة الاجتماعي، مجلة أفكار، عمان، ع١٤٩، ٢٠٠١م.
- الموسى (نهاد): نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، ع٤، م١، ١٩٨٥م.
- نور الدين (عصام): المحايد أو المذكر والمؤنث من غير الحيوان، مجلة دراسات عربية، بيروت، ع (٧-٨)، ١٩٨٨م.
- صحيفة الرأي: عمان، ٢٠٠١/٧/٢١م

▪ المراجع بغير العربية:
- **Abd -El - Jawad (Hassan)**: Social Functions of Language Variation, Al - Abhath - American University of Beirut, Vol. XXXIV 1986.
- **Adler. (Max)**: Sex Differences in Human Speech. Humburg. 1978.
- **Allergro (John)**: The Sacred Mushroom and the Cross. Hodder Stoughton, 1970.
- **Bernard (Jessie)**: The Female World. New York, 1981.
- **Bloomfeild**: Language. London, 1962.
- **Brekwege (Lia)**: Hesitancy in Female and Male Speech, (Women's Language), U.S.A, 1987.
- **Brouwer and Dorian**: Women's Language Socialization and Self-image. Foris Publications. U.S.A, 1987.
- **Cameron (Deborah)**: Feminist and Linguistic Theory, London, Macmillan, 1985.
______________ (ed): The Feminist Critique of Language. London. 1998.
- **Coates (Jennifer)**: Women, Men and Language. London, 1986.
- **Dumezil**: Grammaire Comparee. Paris, 1960.
- **Fishman**: The Sociology of Language. New Bury House, 1972.
- **Gesenius**: Hebrew Grammar.Translated by, A.E.Cowely). Oxford University, 1910.
- **Gray (Louis)**: An Introduction to Semitic Comparative Linguistics. Amsterdam, Philo Press, 1971.
- **Lrigray (Luci)**: Language Sexes and Gender (Women's Language), 1987.
- **Miller (Gasey)**: Words and Women, Anchor Press, New York, 1977.
- **Mills (Jan)**: Woman Words (A vocabulary of culture and patriarchal society).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

London, Virage Press, 1991.

- **Moscati**: An Introduction to the Comparative Grammar of Semitic Language. Weisbaden, 1964.
- **Pride (J.B)**: Sociolinguistic Aspects of Language Learning and Teaching. Oxford University Press, 1979.
- **Rosald**: (Michell, Zim-ballst): Woman, Culture and Society. Standford University Press, 1974.
- **Safilios (Roths (ed)**: Sociology of Women. U.S.A, 1972.
- **Sepeiser (E.A)**: Studies in Semitic Formative. London, 1970.
- **Shehadeh (Ali)**: Gender Differences and Second Language. Acquisition Research, Journal of Alepp University, vol, 25, 1994.
- **Shibamoto (J.)**: Japanese Women's Language. London, 1985.
- **Showlter (Elaine)**: Toward – Feminist Poetics, 1981.
- **Smith (Philip)**: Language, The Sexes and Society Bosil, Black Well, 1984.
- **Spender (Dale)**: Man Made Language. London, 1980.
- **Susan and Ruth King**: Gender – Based Language (The Feminist) U.S.A, 1998.
- **Thorne, Henley**: Language and Sex Differences and Dominarce (Women's Language), 1987.
- **Wardhaugh (Ronald)**: An Introduction to Sociolinguistes, Blach well, Oxford, 1992.
- **W.Wright**: Lectures on the Comparative Grammar of the Semitie Language. Cambridge, 1890.

_____ : The Grammar of the Arabic Language. Cambridge University Press, 1896.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

Linguistic Behaviour and Sex Differences in Arabic

By: Issa Odeh Mousa Barhoum

Supervisor: Prof. Nihad AL-Mousa

Department of Arabic

Faculty of Graduate Studies

University of Jordan

Language is a social phenomenon. It is a system of signs and codes that goes beyond the individual use of language. We differntiate between social groups according to their linguistic behaviour in different occasions and activities.

The practice of language by the individual is conditioned by the social order that dictates the linguistic preferences in the process of social interaction. In this process we can discern the identity of the individuals and their classes, groups and environments.

Method and Option

My interest in the relation of language and gender goes back to three of five years ago when I read many books and articles about the question of gender in the practice of language. The stress on the study of this topic in ancient and modern times urges me to select "gender in language and grammar" a topic for my master degree. In my master dissertation, the methodology was descriptive and comparative. I studied the elements of the topic in the Arabic linguistic legacy and I mentioned the methods the Arab linguists and grammarians used in the study of

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

language, comparing at the same time between Arabic and other Semitic languages. I pointed out that the social study and statistics can shed light on the ambiguities of the topic.

I would like to study the question of gender in linguistics from the social point of view. So I focused on what has been written by socio linguistics and I have chosen the topic of "the social factor in language and gender" for my doctorate dissertation.

The study is made of three chapters, I tried in **the first chapter** to study the role of language in society focusing on the social factor in the linguistic behaviour, trying at the same time to elucidate the social factors that dictate the linguistic behaviour of the two sexes.

In **the second chapter** I discussed the linguistic system in Arabic and its view of gender focusing on categories used by Arabic to differentiate between the two sexes. I discussed in the same chapter the factors of culture and linguistic prejudices which reveal the social tradition and values. I studied these linguistic and cultural prejudices through it's materialization in language, grammar, semantics and different Arab dialects.

The third chapter deals with gender in linguistics and language as a social activity using the methods of personal interview and statistics to be informed about the social behaviour of the two sexes in Arabic language and culture.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit